الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الدكتور هشام بلخير

دُروس في مادّة:

عِـــلـــم الـدَّلالـــــة

موجّهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص لسانيات عامّة

للموسم الجامعي 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ الباحث في اللسـانيات والعلوم القريبة منها أمام خيارات في الكتابة قد تقرّبه من وصـف هذه العلوم وصـفا سـليما لأفكار المدارس والنظريات مبتعدا عن الأحكام المعيارية والآراء المجحفة في حقها، وإما أن يتبنى موقفا منها فيقبلها قبولا كلّيا لا نقد فيه كلُّه تعظيم لها وتبجيل لمنجزاتها، أو بنقدها كلّها والحطّ منها والتقليل من قيمتها العلمية. والموقف الذي نقفه الآن في عرضـــنا لهذه المطبوعة يقف موقفا الواصف من جهة عرض تطور علم الدلالة الحديث وتناول قضاياه ونظرياته، ثم نقدها بما يجب في سياق كل فكرة نتناولها بالشرح في حدود ما تسمح به المساحة المتاحة فكرا وزمنا.

ولنا في النظر إلى الدرس الدلالي الحديث رأي لســـاني ودلالي يعزِّز من القيمة العلمية للتراث القديم (عند الأمم السـابقة) لأن له تأثيرا واضـحا في بعض القضـايا اللغوية والدلالية، كما نسمح لأنفسنا بالوقوف وقفة المتبني لبعض الأفكار اللسانية والدلالية في علم الدلالة، فيكون مسار عرضنا لهذه المطبوعة جامعا بين تعزيز قيمة التراث، وتثمين ما استقر في الدرس الدلالي الحديث بما يتناسب مع خصائص اللغة العربية. والدروس التي تجمعها هذه المطبوعة تندرج ضمن دروس السـنة الثالثة ليسـانس تخصـص (لسـانيات عامة)، في السـداسـي الخامس، وهي من مواد الوحدة الأساسية.

نسأل الله التوفيق والسداد

الدكتور هشام بلخير

محتوى المادة:

	مفردات المحاضرة
01	مدخل (بين الدلالة والمعنى)
02	إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 1: الأسباب
03	إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 2: المظاهر
04	الدلالة اللغوية وغير اللغوية
05	علم الدلالة واللسانيات الحديثة 1
06	علم الدلالة واللسانيات الحديثة 2
07	الدلالة الصوتية والصرفية
08	الدلالة التركيبية والسياقية
09	نظريات دراسة المعنى 1 (التصورية، الإشارية)
10	نظريات دراسة المعنى 2 (السلوكية)
11	نظريات دراسة المعنى 3 (السياقية)
12	الحقول الدلالية في التراث العربي
13	نظرية الحقول الدلالية
14	الدلالة والتداولية (البراغماتية)

الدرس الاوّل:

مدخل (بين الدلالة والمعنى)

1. تعريف الدلالة والمعنى (لغة واصطلاحا):

لا شك أنَّ المصطلح الدلالي مثله مثل المصطلح اللساني يعاني من فوضى في الترجمة والاستعمال مما أدّى إلى تداخل المصطلحات بمفاهيمها المختلفة، وهذا ما دعانا إلى ضرورة التمييز بين مصطلحين أساسيين في علم الدلالة هما " الدلالة " و " المعنى "، ونبدأ بالتعريف اللغوي؛ لأنه يقوم على الوضع اللغوي المتفق عليه من قبل الجماعة اللغوية، ثم المفهوم الاصطلاحي الذي يتأثّر بلا شك بالتعريف اللغوي.

1.1 الدلالة:

أ- **لغة:** جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر معنى مادة (د.ل.ل)

" دلَّ دَلَلْتُ، يَدُلّ، ادْلُلْ/ دُلَّ، دَلالةً ودِلالةً، فهو دَالّ ودليل، والمفعول مَدْلول. دلَّ الشَّخصَ إلى الشَّيءِ/ دلَّ الشَّخصَ على الشَّيءِ: أَرْشَده وهَداه إليه، قَادَه، عَيَّن لهُ المَكانَ " مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ [حديث]- ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾. [سبأ:14]. خيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ: أفضل القول ما يعبّر عن معنى كثير بوجيز الألفاظ- مَوْقِفٌ يدلُّ على ذكاءٍ/ مَوْقِفٌ يدلُّ على خجلٍ: يَنُمُّ عنه ".

نستنتج من هذا التعريف أن الدلالة هي الإرشاد والهداية والتوجيه والقيادة.

ب- اصطلاحا:

يعرِّف قاموس علوم اللسان لجون ديبوا الدلالة (Signification) بأنها:

في علم الدلالة، يجب التعارض بين المعنى والتسمية أو التعيين. وبشكل عام فإن المعنى الناتج عن تطبيق النظام اللغوي يسمى دلالة: فيه محتوى الدلالة السوسيرية، جانب المحتوى لقيمة

العلامة، الناتج عن ضغط النظام والذي يمكن التعرف عليه من خلال لعبة المعارضات النموذجية والتناقضات التركيبية[1].

أما مفهوم الدلالة في اللسانيات الحديثة فهي تلك العلاقة الوطيدة بين دال العلامة السانية ومدلولها، فكلاهما يحتاج إلى الآخر فبحدوث التصور في الذهن يحضر الدال بعناصره الصوتية أو بالتلفظ بالدال يحضر المدلول، وبترابطهما تتحقَّق الدلالة. وتنتج الدلالة من قبل متكلمي اللغة الواحدة بشكل واحد لحصول التواضع عليها.

سنكتفي بتعريف الدلالة عند المحدثين لارتباطها بعلم الدلالة الحديث (Semantics) فهي موضوعه وهدفه في الآن نفسه، فتبحث عن شروط العلامة اللغوية في حمل الدلالة وقدرتها على التعبير عن مدلولات كثيرة في دوال قليلة.

2.1 المعنى:

أ- لغة:

يتوقف (ابن فارس) في تحديده معاني ألفاظ العبارات عند ثلاثة مستويات وهي:

أ- المعنى: وهو مشتق من عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت فتكون الدلالة الأولى للمعنى هي القصد.

ب- التفسير: أي التفصيل من أجل الشرح ولإظهار ما سُتر وخفي.

ج- التأويل: وهو آخر الأمر وعاقبته.

[1] En sémantique, il importe d'opposer signification et désignation. D'une manière générale, le « sens » résultant de la mise en œuvre du système linguistique sera appelé signification : in s'agit du contenu du signifié saussurien, l'aspect de contenu de la valeur du signe, produit par la pression du système et repérable par le jeu des oppositions paradigmatiques et des contrastes syntagmatiques.

ويرى الجرجاني أن المعاني هي الصـور الذهنية التي توضـع لها ألفاظ مناظرة. وينبغي أن نلاحظ أن مفهوم المعنى أعم وأشـــمل من مفهوم الدلالة ما دام المعنى يمكن أن يكون للفظ كما يمكن أن يكون للعبارة أو للجملة، ولا يكون مقصورا بالضرورة على الألفاظ وحدها.

ب- اصطلاحا:

يقرُّ اللسانيون، حسب عبد الجليل مرتاض، بأن مفهوم المعنى أو تحديده صعب الوصول إليه مقارنة مع المدلول والدلالة والقيمة...وبالفعل، فإن المدلول إذا كان يعود بوضـــوح إلى الحقل اللساني، وأن الدلالة تتعلّق بعلماء النفس واللسانيين، فإن المعنى (Sens) يغطِّي حقائق وتصوُّرات جوهرية من أجل استنفادها بمقاربة أو مقاربتين.

يعرِّف جان ديبوا المعنى (Sens) بأنه:

في المقابل، فإنّ المعنى الناتج عن استخدام اللغة للإشارة إلى المراجع (الأشياء، الصفات، العمليات، أو فئات الأشـياء، الصـفات، العمليات) سـيسـمّى التعيين. على سـبيل المثال، يمكن معارضـة المعنى المنتظم للكلمة المصـطنعة كتسـمية: يمكن فهم كلمة " كبير " في منطق المعنى على أنها يمكن للمرء أن ينظر إليها على مهل أو يمكن للمرء أن يأخذها في الاعتبار، ولكن تسميتها تقتصر على المعنى الثاني[1].

معنى الكلمة، حسب جورج مونان، هو تصـور (Concept) أو مدلول، والذي لا يمكن أن يعرَّف إيجابيا بل سلبيا بالقياس إلى الكلمات الأخرى الحاضرة في السلسلة التي تشمل هذه الكلمة

[1] Par opposition, le " sens " résultant de l'emploi de la langue pour renvoyer a des référents (objets, qualités, procès, ou classes d'objets, de qualités, de procès) sera dit désignation. On peut par exemple opposer le sens régulier d'un mot construit, comme désignation: considérable peut être compris dans une logique de signification comme " qu'on peut regarder a loisir " ou " qu'on peut prendre en compte ", mais sa désignation est limitée au second sens.

أو تُذكَرُ وحسب بوساطة التداعي؛ لأنها تشير أو يمكن أن تشير على حقيقة مماثلة لتلك التي تعيّن هذه الكلمة.

المعنى عند جون ليونز قريب من مفهوم القيمة عند سوسير، يضاد المرجع؛ فالمعنى يكون، وفق هذا التصور، مجموعة العلاقات الدلالية بين العلامات اللسانية في المحورين التركيبي والاستبدالي.

2. الفرق بين الدلالة والمعنى:

1.2 ترادف الدلالة والمعنى:

من الباحثين الذين لا يميّزون بين (الدلالة) و (المعنى) أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة –وهو من أشهر مراجع علم الدلالة في المكتبة العربية–لا أجده يفرق بين الدلالة والمعنى، ففي عرضه لأسماء علم الدلالة يقول:" أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة ... وبعضهم يسميه علم المعنى...وبعضهم يطلق عليه اسم السمانتيك أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية " (عمر، 1998، صفحة 11)

وأجده أيضاً يُسمي الفصل الثالث (الوحدة الدلالية) التي من أقسامها (الكلمة المفردة) ثم يُسمي الفصل الرابع (أنواع المعنى) للكلمات التي هي جزء من الوحدة الدلالية؛ لذلك أنا أظن أنه لا يفرق بين الدلالة والمعنى.

وكذلك فعل غيره كالدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ)، وموريس أبو ناضر في كتابه (إشارة اللغة ودلالة الكلام)

2.2 اتساع المعنى مقابل الدلالة:

يرى محمد علي الخولي أننا " عندما نتحدّث عن معنى الكلمة، فإننا نتحدّث عن علاقاتها مع الكلمات الأخرى داخل اللغة ذاتها. (ثريّ) تعني (غنيّ) أو ضد (فقير)، (كريم) ضد (بخيل).

معنى الكلمة مرتبط بعلاقاتها مع الكلمات ذات العلاقة الواحدة في اللغة الواحدة. (الخولي، 2001، صفحة 25)

وأما الدلالة فتعني، عند الخولي، علاقة الكلمة بالعالم الخارجي، الكلمة، غالبا، تشير إلى كائن موجود في العالم، قد يكون إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا أو مكانا، مثلا: نعمان، الأسد، الشجرة، الصخرة، أوروبا، على الترتيب. (الخولي، 2001، صفحة 25)

هناك فرق بين الكلمات والموجودات. كلمة (كرسي) ليست كرسيا، بل هي كلمة تشير إلى الشيء الذي ندعوه كرسيا. كلمة (باب) ليست بابا، وكلمة (مدرسة) ليست مدرسة. هناك التعبير اللغوي وهناك الموجود الخارجي. التعابير اللغوية جزء من اللغة، ولكن الموجودات الخارجية جزء من العالم. الدلالة (في هذا الكتاب) هي علاقة بين التعابير اللغوية والموجودات الخارجية. (الخولي، 2001، صفحة 26)

سندعو التعبير الذي يشير إلى الموجود الخارجي المعين **تعبيرا دالا**. وسندعو الموجود الخارجي المحدَّد الذي يشير إليه تعبير دال **المدلول عليه** أو اختصارا (المدلول). وسندعو العلاقة بين التعبير الدال والمدلول عليه **دلالة**. لاحظ أنه صار لدينا الآن ثلاث مصطلحات هامة: دلالة، تعبير دال، ومدلول عليه. الدلالة هنا ليست بمعناها العام، بل صار لها معنى خاص. والتعبير الدال ليس أي تعبير، بل له معنى خاص. والمدلول عليه (هنا) صار له معنى خاص. انتبه إلى المعاني الاصطلاحية الخاصة لهذه المصطلحات. سوف نستعمل هذه المصطلحات حسب معانيها الخاصة الجديدة. (الخولي، 2001، صفحة 26)

يميّز الخولي بين المعنى والمدلول عليه فيما يلي (الخولي، 2001، الصفحات 29-30):

معنى التعبير هو علاقته بسواه من التعابير اللغوية من حيث الترادف والتضاد وسواهما.
مدلول التعبير هو موجود معيَّن خارج اللغة، أي موجود معيَّن في العالم الخارجي.

المعنى ليس للكلمات فقط، بل للعبارات والجمل أيضـــا، مثلا: كتاب، في الكتاب، الكتاب مفيد (على التوالي). ولكن المدلول عليه يتعلَّق بالتعابير الدالّة فقط. التعبير الدال له مدلول عليه، ولكن الجملة ليس لها مدلول عليه.

المعنى مجرّد، ولكن المدلول عليه محسوس في الغالب وموجود في العالم الخارجي.

لكل تعبير معقول معنى، ولكن ليس لكل تعبير مدلول عليه. هناك تعابير عديدة ليس لها مدلول عليه، مثلا: العلم مفيد. هذا القول ليس لتعابيره مدلولات؛ إذ لا يوجد موجود خارجي معيَّن في هذه الحالة.

3.2 اتساع الدلالة مقابل المعنى:

يعتبر بعض اللغويين أن الدلالة عبارة عن مصـطلح عام له علاقة بالعلامات اللغوية وغير اللغوية، أما مصــطلح المعنى فلا يعني إلا الألفاظ اللغوية، فلا تطلق على العلامات غير اللغوية. (منقور، 2001، صفحة 23)

ثم رجّح الرأي الثالث فقال:" على الرغم من أن مصــطلح الدلالة عندنا أوســع وأشــمل من مصــطلح المعنى؛ إذ يدخل ضــمن الدلالة الرموز اللغوية (الألفاظ) وغيرها من أدوات الاتصــال كالإشارات والرموز والعلامات. ونرى أنَّ الفرق بينهما مما يهتم به دارسو الدلالة وواضعو المناهج" (نهر، 2007، صفحة 29)

الدرس الثاني:

إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 1: الأسباب

يعدُّ موضـــوع التّغير الدّلالي من القضـــايا الدلالية التي اهتم بها علم الدّلالة التّاريخي في بداياته، حيث كان اهتمامه مقتصـــرا على تتبع التغيرات التي تعتري معاني اللفظة المفردة، فهي متحرّكة ومتطوّرة ومتغيّرة من فترة زمنية إلى أخرى. ولعل البدايات الأولى له كانت مع ميشـــال بريال وبعده ماريو باي وغيرهما، وقد رأوا أنّ لتغيُّر الدلالة أسبابا عديدة منها الداخلي اللغوي ومنها الخارجي حاولوا حصرها فقالوا بالأسباب اللّغوية الداخلية والأسباب التّاريخية، الاجتماعية، الثّقافية، النّفسـية، والعقلية الخارجية، ورأوا أن له أشـكالا ومظاهر، أهمها: **تخصـيص أو تضـييق الدّلالة، وتعميمها أو توسـيعها، ورقيها أو انحطاطها**، إلى غير ذلك. ولذلك سـنتطرق في هذا الدرس إلى أسباب التغير الدلالي.

أولا: علم الدّلالة التّاريخي

وهو منهج تاريخي للبحث في علم الدّلالة كان ســـائدًا بين عامي 1850-1930 تقريبًا، وكان اهتمامه الأساسي هو دراسة تغيّر دلالة الألفاظ عبر الأزمنة المختلفة؛ حيث إنّ مصطلح علم الدّلالة (Sémantique) قد استعمل أولاً للإشارة إلى تغيُّر الدلالة، ونتيجة لذلك بحث عن كيفيات حدوثه ومظاهره، بالتعميم والتخصيص والانتقال بالاستعارة، والكناية والمجاز وغيرها.

ثانيا: مفهوم التغيّر اللغوي

نَعرِضُ في هذا العنصر لعوامل التغيُّر اللغوي، وكيف تكون اللُّغات عُرضة لتغيُّرات حتمية لا يد لها فيها ولا لجماعتها اللغوية، على الرّغم من وجود قوانين وقواعد يحرص اللغويون وغيرهم على الالتزام بها من أجل الحفاظ على سلامة لغتهم، إلا أنَّ عوامل المكان والزمان والاستعمال تَحُول دون ذلك.

ويؤكّد ماريو باي على الطبيعة المتغيّرة للغات في صورتها المنطوقة خاصة، فلا تحافظ على أصلها الذي نشأت عليه بل تنزع نحو الانحراف عنه لأسباب كثيرة سنأتي على ذكرها لاحقا، حيث يقول:" إنَّ الاتجاه الطبيعي للغة، وبخاصة في صورتها الدّارجة، أو المتكلَّمة، هو اتجاه يُبعِدُها عن المركز، فاللُّغة تميلُ إلى التغيُّر، سواء خلال الزمان أو عبر المكان، إلى الحد الذي بلا توقف تياره

العوامل الجاذبة نحو المركز...هذه الخاصية العالمية للغة، هامّة بعالم اللغة التاريخي، حيث إنها تشكِّل الأساس في كلّ تغيير لغوي "[1].

وينسجم قوله هذا مع قول **ستيفن أولمان** الذي يُقارِن سُرعة التغيُّرات في مستويات اللُّغات جميعا، ويعتبر أنّها كلّها عُرضة للتغيّر والتطوُّر، بقوله:" اللُّغة ليست هامدة أو ساكنة، بحال من الأحوال، بالرغم من أنَّ تقدّمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها، مُعرَّضة كلّها للتغير والتطوّر، ولكن سرعة الحركة والتغيّر فقط، هي التي تختلف، من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة "[2].

ثالثا: التغيُّر الدلالي وعلاقته بالتغيُّر اللغوي

تتوزّعُ اللُّغة مجموعة من الأنظمة، التي تبدأ بالنظام الصوتي، بصوامته وصوائته، وفونيماته، ومقاطعه، وما يسود فيه من ظواهر النَّبر والتنغيم وغيرهما، وتمرّ بالكلمات من حيث بناؤها، ومورفيماتها، ودلالتها على المعاني المختلفة، في أذهان الجماعة اللغوية التي تستخدمها، وتنتهي ببناء الجملة، ووظيفة الكلمات في داخل الجمل، والعلاقات التي تنتج عنها[3].

ويعدُّ التغيُّر الدلالي من أهم فروع التغيُّر اللّغوي وأقسامه، لما له من سرع في الحدوث مقارنة مع الفروع الأخرى، ويقع على الكلمات في دلالاتها، فهي متغيِّرة متحرِّكة لا تتوقَّف، وإذا أردنا التأكُّد عدنا إلى المعاجم العربية العامة لنلاحظ معاني الكلمات وكيف تتغيَّر من زمن لآخر.

ويُوعِزُ السعران حدوث التغير الدلالي إلى الأسباب الاجتماعية، حيث يقول: " يحدث التطور الدلالي تدريجيا في أغلب الأحوال، ولكنّه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى. وإن تغيرات

---

[1] ماريو باي: أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر، ص 71.

[2] ستيفن أولمان: دول الكلمة في اللغة، تر كمال بشر، ص ...

[3] ينظر رمضان عبد التوّاب: التطوّر اللغوي، ص 15.

المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعي، وإن الميول الاجتماعية، أوضح في حالة التغير الدلالي منها في التغيُّر الصوتي "[1].

رابعا: أسباب التغير الدلالي

تعتبر اللغة كائنا حيا كما ذكر بعض الباحثين، ونتيجة لذلك فهي قابلة للتغير في جانبيها الشكلي والمعنوي، يحدث هذا في كلّ اللّغات ومنها العربية؛ لأنها تتحرَّك في فضاء واسع داخل المجتمع، فتؤثِّرُ فيها العوامل الاجتماعية والثقافية، والنفسية والعقلية، فما يتحدَّثه الأفراد من كلام وما يتلفظون به من ألفاظ محاط بهذه الظروف فتتغيّر المعاني بتغيُّرها، فترتقي أو تنحط وتتوسَّع أو تضيق وهكذا. ومن أهم أسباب تطور الدلالة كما ذكرها بعض اللغويين:

1-الحاجة إلى إنتاج ألفاظ جديدة بدلالات جديدة:

لعل الحاجة أم الإنتاج اللغوي، فالجماعات اللغوية هي جماعات اجتماعية تبحث دوما عن استعمالات جديدة للغة في جانبيها الشكلي والمعنوي، فقد تقترض هذه الجماعات من لغات أخرى غير لغتها أو لغاتها فيحدث التعميم أو التخصيص أو الانتقال من دلالة إلى أخرى بخلاف ما وُضِع له اللفظ المقترَضُ. ولا يستطيع إحداث هذا التغيير إلا فئة من الناس تمتاز بالموهبة والقدرة اللغوية من أمثال الأدباء والشعراء والفلاسفة، أو تحدثه المؤسسات العلمية واللغوية مثل المجامع اللغوية، فيعمدون إلى أدوات اللغة والبلاغة العربية من مجاز أو استعارة أو كناية، فيوجِّهون الدلالة توجيها مختلفا عن المألوف.

2-الأسباب الثقافية والاجتماعية:

لا تبقى المجتمعات ثابتة جامدة في لغاتها لا تتغيَّر، وإن أرادت ذلك، فهي عرضة للمؤثرات الثقافية والاجتماعية، وتتمظهر في طرق استعمال الألفاظ والدلالات التي تمنح لها من قبل

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 280

الجماعة اللغوية، فاللغة مثل غيرها، من عناصـــر المجتمع، وثيقة الصِـــلة به فكل تغيُّر فيه يقابله تغيُّر في لغته سلبا أو إيجابا.

3-الأسباب النّفسية:

هذه الأســـباب تعبِّر عن قدرة الأفراد على مراعاة المشـــاعر والانفعالات التي تعتريهم، فيختارون من الألفاظ ما يناسـب المواقف الاجتماعية والنفسـية، فيبتعدون عن الألفاظ الجارحة أو الحادّة أو المكروهة الممجوجة. ويسمّى هذا النوع باللامساس أو الطابوهات. ومن أمثلة هذه الألفاظ ما تعلَّق بالألفاظ التي تشير إلى أماكن قضـاء الحاجة، أو المتعلِّقة بالجماع وأعضـاء المرأة والرجل الحسّاسة، فتعوَّض بتوريات تخفِّف من درجة الإحراج.

4-الأسباب اللغوية:

من الأسباب كذلك، ما تعلَّق باللغة في حدّ ذاتها وهي أسباب داخلية، فنجد في اللغة فجوات معجمية ناتجة عن عدم قدرة الجماعة اللغوية على مقابلة الألفاظ بدلالات جديدة فيلجأ أهل اللغة حينها إلى أدوات نمو اللغة من قبيل الاشـــتقاق والمجاز والاقتراض والتوليد وغيرها، فينتج عن هذا الاستعمال دلالات متنوّعة للفظ الواحد، قـــد تؤدّي إلى شيوع الجديدة منها فضلا عن القديمة، وقد تنسى الدلالة القديمة نهائيا، مثل كلمة **المجد**.

5-الاستعمال:

وهنا ينتقل استعمال اللفظ من مجال إلى مجال آخر جديد، فقد يسمع شخص معيَّن لفظة، فيفهمها فهما مختلفا قد يكون صحيحا وقد لا يكون فتُستخدمُ في دلالة مُغايِـــرة لا تمتُّ إلى الدلالة الأصلية بصِلَة.

الدرس الثالث:

إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 2: المظاهر

تُعد دراســـة التّغير الدّلالي المحور الرئيس في علم الدّلالة الحديث، وبخاصـــة علم الدّلالة التّاريخي، فاهتم الدلاليون بموضـــوع تغيّر الدلالة، وكيفية حدوثها وأســـباب حدوثها، وعوامل حياة الكلمات وموتها؛ إذ يرون أنّ دلالة الألفاظ هي الأكثر عُرضـة للتغيير من الألفاظ ذاتها، فقد تتسـع أو تضيق أو تنتقل من مجال إلى آخر، وقد ترتقي وقد تنحطّ.

ثالثا: مظاهر التّغير الدّلالي

للتّغير الدّلالي **مظاهر** قام إبراهيم أنيس بتلخيصها في كتابه (دلالة الألفاظ)، كما يلي:

1-تعميم الدّلالة أو توسيعها:

كثيرة هي الألفاظ التي كانت تسـتعمل في نطاق ضـيّق أو لأغراض خاصـة، ثم توسَّـعت لأسباب اجتماعية أو ثقافية أو غيرها من الأسباب، فتصبح دلالتها أعمّ وأشمل، وبمعنى آخر هو تحويل الدّلالة من دلالة ضيّقة إلى أخرى أوسع، ومن الأمثلة الشائعة نذكر:

- كانت **(السـيارة)** تدلُّ على القافلة، ثم تغيّرت دلالتها بالتوسـيع، لتدلَّ على السـيارة المعروفة اليوم باعتبارها وسيلة من وسائل انتقال الأشخاص.
- كان **(القطار)** يدلُّ عل الإبل التي تسـير على خط واحد، خلف بعضـها بشـكل مترابط، ثم تغيَّرت دلالتها بالتوســيع لتدلّ على وســيلة النقل المعروفة اليوم التي تســير على ســكّة حديديّة.
- كان **(البأس)** يدلُّ على الشـدَّة في الحرب، ثم تغيَّرت دلالته بالتوسـيع لتدلَّ على الشـدَّة في كل أمر.

2-**تخصيص الدّلالة أو تضييقها:**

التّخصـيص، كما يعرّفه فريد عوض حيدر:" **هو أن يضـيق معنى الكلمة على مرّ الزّمان، فتتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي أو يقلّل عدد المعاني التي تدلّ عليها، أي أنّ الكلمة أصـــبحت بالتّخصـــيص دالة على بعض كانت تدلُّ عليه من قبل** ". فهو بذلك مضـــاد للتوسيع؛ حيث يصبح العام خاصا والواسع ضيّقا، والكلي جزئيا. ومن أمثلته الشائعة:

- كان **(الحج)** يدلُّ على **القصد أيّ قصدٍ**، إلى أيّ مكان، ثم ضاق وخُصِّص إلى قصد واحد هو القصد إلى مكة المكرَّمة.
- كانت **(الحرمة)** دالَّة على كل محرَّم لا يُمسُّ، ثم ضاقت دلالتها وخُصِّصت للمرأة فقط.
- كانت **(الصلاة)** دالَّة على الدّعاء، ثم ضيِّقت وخُصصت للأقوال والأفعال المخصوصة المُفتتَحة بالتّكبير، والمُختتَمة بالتّسليم بشروط معروفة في الفقه الإسلامي.

3-انحطاط الدلالة:

تتقلَّب دلالات الألفاظ بين الرقي والسموّ والانحطاط أو الضعف، وهذا راجع إلى نظره المجتمع لها وما أقامه من مكانة رفيعة أو وضيعة لها، ومن الأمثلة الشائعة للانحطاط الدلالي:

- كان **(الحاجب)** يدلُّ على صاحب المكانة الرفيعة والدرجة العليا في نظام الحكم عند المسلمين بالأندلس، فهو الوزير رئيس الديوان الذي يحجب الناس عن الخليفة، ثم انحطت في السلم الاجتماعي لتدلَّ على الحارس في المؤسسة.
- كانت **(اليد الطويلة)** تدلُّ على السخاء والكرم كما في الحديث، ثم انحطت لتدلَّ على السارق فيُقال: فلان طويل اليد إذا كان سارقا.
- كان **(البهلول)** يدلُّ على السيّد صاحب السطوة والسلطة والمكانة، ثم انحطت دلالتها إلى الشخص الذي يقوم بأعمال مُضحكة مثيرة للسخرية.

4-رُقي الدلالة:

بعكس ما حصل مع الانحطاط، يحدث رقي دلالة بعض الألفاظ نتيجة تغيُّر نظرة المجتمع لها، وهو أقلّ حدوثا من الانحطاط، يسمّيه بعض الدلاليين بسمو الدلالة أو التغير المتسامي، ومن الأمثلة الشائعة:

- كان **(الرسـول)** يدلُّ على كل مُرْسَـل، مهما كان الأمر عظيما أو حقيرا، ثم سـمت دلالته لتدلَّ على المبعوث من قبل الله سـبحانه وتعالى الموحى إليه برسـالة وكتاب سـماوي، يُلزَم بتبليغه للناس.
- كان **(القماش)** يدلُّ على ما يتناثر من متاع البيت أو ما على الأرض من فتات الأشـياء، ثم سمت دلالته لتدلَّ على نوع من النّسيج المُتقَن الصُّنع.

5-انتقال الدلالة أو نقلها من مجال إلى آخر:

وهو آخر مظهر من مظاهر التغيُّر الدلالي، حيث تتسـاوى الدلالتان القديمة والجديدة، فلا توسيع ولا تضييق، ولا تعميم ولا تخصيص، ويحدثُ هذا الانتقال ببعض أدوات اللغة منها المجاز والاستعارة والكناية، من الأمثلة الشائعة:

- كان **(الشّنب)** يدلُّ على صفاء الأسنان، وجمال الثّغر، ثم أصبح يدلُّ على الشَّارب.
- كان **(الجمل)** يدلُّ على الإبل، ثم أصبح يدلُّ على الجمال في الأشياء المتعدِّدة.

الدرس الرابع: الدلالة اللغوية وغير اللغوية

تعدُّ اللغة نظاما معقَّدا من العلامات، وهذا ما أشـــار إليه عالما النفس أوجدن وريتشـــاردز (Ogden & Richards) في مثلّثهما الشـــهير إلى أهمية الرمز أو العلامة أو الدال في مقابل الفكرة أو المضـمون الذي يستحضـره الذهن أي المدلول. والطرف الثالث هو المشـار إليه[1]. ولذلك تكون العلامة لغوية أو غير لغوية حسب طبيعة الدال أو الرمز. وسنقارن بينهما في هذا الدرس.

أولا: مفهوم العلامة اللغوية وغير اللغوية

1-مفهوم العلامة اللغوية:

تُعرِّف خولة طالب الإبراهيمي العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي بأنَّه وحدة لسانية مُكوَّنة من دال ومدلول، فهي أعمّ من الرمز اللُّـــغوي، فهي تلك " العلامة التي اصـطلح عليها الناس لتؤدي غرضا إعلاميا وإخباريا ما يندرج في إطار نظام دلالي خاص "[2].

الدليل/ الأدلّة: الدليل مفرد جمعه أدلّة، وهو في معناه المتداول يبيّن أن عنصرا أ يدلّ على عنصر ب أو ينوب عنه. هذا يعني أن الأدلّة عناصر إرادية وضعت قصدا لتفيد، وهذا الوضع تمّ بالتواطُؤ والاصـطلاح؛ أي التواضـع بين جماعة من الناس لغرض واحد هو التبليغ، فهي أصـوات يستعملها الإنسان للإبانة عن المفاهيم والأشياء[3].

2-مفهوم العلامة غير اللغوية:

أما العلامة غير اللغوية فهي، حســـب خولة طالب الإبراهيمي، ما كان دالُّها غير لغوي مثل: دلالة العَلَم الأخضـــر على الســـماح بالســـباحة ودلالة العلم الأحمر على منعها في قوانين السـباحة. ومثلها دلالات قوانين المرور على المنع والتحذير والإلزام والسـماح والجواز؛ لأن هدفها

[1] عبد الحميد عبد الواحد: الكلمة في اللسانيات الحديثة، ص 20.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 18-19.

[3] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 20.

الأساس هو تنظيم حركة المرور، وغيرها من العلامات الكثيرة غير اللغوية، فأنظمتها أصعب من أن تُحصَر.

3-الفرق بينهما:

يقوم الأفراد داخل المجتمع الواحد بالتواصل فيما بينهم بشتى الطرق والوسائل والأنظمة، فيعتمدون بالأساس على النظام اللغوي ويستعينون معه بأنظمة أخرى غير لغوية مساعده له من أجل تبليغ محتوى معيَّن أو نقل مشاعر وعواطف أو توصيل أفكار ورُؤى.

وفي اعتماده على هذه الأنظمة التواصلية يختار علامات وإشارات لغوية وغير لغوية هدفه فيها توسيع مجال الدلالة، فكل علامة تحمل قيما مختلفة بالنظر إلى النظام الذي تمثِّله. فاللَّون الأحمر في نظام إشارات المرور لا يمتلك أي شيء مشترك مع اللون الأحمر الذي يوظَّف في نظام الهدايا، وكذلك الأمر بالنسبة للون الأخضر في قوانين المرور مع نفس اللون في الإشارة إلى الصيدلية. وعلى العكس من ذلك في العلامات اللغوية فهي خاضعة للتواضع والاصطلاح يشترط أن تتفق الجماعة اللغوية عليها وعلى استعمالاتها. ويسوغ للأفراد أن يستعينوا به لفهم الأنظمة غير اللغوية.

نضرب أمثلة للأنظمة غير اللسانية بلغة الجسد، إن صح القول، التي يتم التواصل بها ربُّما أفضل من استعمال العلامات اللغوية في بعض الأحيان. وهذا يؤكِّد لنا قيمتها مع النظام اللغوي، فهما يتكاملان لإحداث أفضل تواصل ممكن لأفضل تبليغ، ولذلك قيل: إننا نتكلَّم بجهازنا الصوتي لكنّنا نتحاور بمجموع جسدنا.

مثال آخر على العلامات غير اللغوية صوت الجرس في تجربة بافلوف الشهيرة؛ إذ إنَّه استثار الكلب فأسال لعابه، فأصبح بديلا عن الطعام الذي تعوّد عليه الكلب. ومثال جاك وجيل الشهير عند بلومفيد الذي استعملا فيه الطرفان علامات لغوية وغير لغوية.

وقد قُسِّمت العلامات غير اللغوية بالنظر إلى حواس الإنسان، كما يلي[1]:

- **العلامة السمعية:** التي تعني أن لكل مسموع دلالة، مثل صوت الديك الذي يدلُّ على فجر يوم جديد، وصوت بوق السيارة الذي يدلّ على تحذير المشاة تتحدّد بالأذن واتفاق الجماعة اللغوية.
- **العلامة البصـــرية:** مثل الأضـــواء وعلامات المرور التي تعني أوامر معيَّنة يجب أن يتّبعها سـائقو السـيارات والتلويح بالأعلام البيضـاء والسـوداء والحمراء لإعطاء رسـائل معيَّنة، وكذلك استعمال الصور أو الأيقونات المختلفة التي تشير إلى وجود المستشفيات والصيدليات والفنادق والمطاعم، هذا إلى جانب الملابس التي يرتديها الإنســان وتدلّ على جنســه ومجتمعه وعمله تصبح علامات تواصلية متفقا عليها.
- **العلامات اللمســية:** التي تتمثَّل في الحركات الجسـمية للتعبير عن مشـاعر المودّة والحب في مواقف اللقاء بين الأفراد صــغارا وكبارا ذكورا وإناثا، وتتوقّف هذه الحركات الجسـمية اللمسـية على المســموح به وغير المســموح به في ثقافة مجتمع ما، ويمكن أن نضــمّ إلى العلامات الجسمية ما يعتمد عليه المكفوفون في القراءة والتعرُّف على الأشياء باللمس.
- **العلامات الشـــمّية:** التي ترتبط بالتعرُّف على الروائح الطيبة والخبيثة، المحبوبة والمكروهة، تعتبر علامات دالة على الاسـتحسـان والاسـتهجان، والقبول والرفض، ومن هذا القبيل أيضـا ارتباط رائحة البخور بأماكن العبادة، وأنواع العطور الخاصة بالرجال والنساء.
- **العلامـات الـذوقيـة:** التي ترتبط بـالتعرُّف على مـذاق أنواع الطعـام والشـــراب الحلو والمر، والحامض والمالح، وارتباط الشـراب والطعام الحلو بالمناسـبات السـعيدة، والقهوة المرّة تقدّم في مواقف العزاء والشراب الحلو (الشربات) يقدم في مواقف التهنئة.

ومثال العلامة اللغوية وجود لافتة أمام ســائق الســيارة مكتوب عليها: الطريق مقطوع. ماذا سيفعل السائق إزاءها: هل يوصل سيره أم يتوقف؟ فإذا سار وتجاهل اللافتة فإنَّه سيتوقف بعد حين

[1] كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، الجزء الأوّل، ص 53.

أو ربّما يسقط من علٍ. وإذا استجاب لها بأن فهم معناها، وتوقف ثم استدار ليسلك طريقا آخر فقد نجا.

ثانيا: مفهوم الدلالة اللغوية

من أهم القضـــايا الدلالية التي تناولها علماء اللســـانيات والدلالة، قضـــية **الدال والمدلول والعلاقة بينهما**، وقد اقتصـرت في البداية على **اللفظ والمعنى** وباتسـاع مجال علم الدلالة أضـحت المســألة تتعلق بالدال والمدلول ســواء أكان **الدال لفظاً أو غير لفظ**، واللغة في الأخير ما هي إلا علاقات تربط كل دال بمدلوله، ضمن نظام متكامل من العلامات والعلاقات.

يقول في ذلك د. عبد السـلام المسـدي: " **اللغة هي مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكوِّنة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضاً ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنها تَشكُّل لا يستمد قيمته ولا دلالته من ذاته، وإنما يستمدهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى** "[1].

إنَّ علم الدلالة، يقوم على أســـاس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول وهي علاقة لا يمكن ضـبطها إلا إذا تعرّفنا على طبيعة كل من الدال والمدلول وخواصـهما، وفي هذا الإطار فإنَّ الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن يحيلنا على الشـيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشـرة، وإنما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية، فاللسانيات حسب النموذج السوسيري تقتضي توفر ثلاثة شروط[2]:

- **دلالة العلامة اللسانية على المعنى.**
- **استعمال هذه العلامة في جماعة لسانية.**
- **انتماء العلامة إلى نظام من العلامات اللغوية.**

---

[1] عبد السلام المسدّي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 30.

[2] ينظر منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، الصفحة 72.

ثالثا: مفهوم الدلالة غير اللغوية

إذا كانت اللغة نظاما دلاليا والنظم الدلالية كثيرة ومتنوّعة والأدلّة في المجتمع متنوّعة ومتعدِّدة فما هي خصـــوصـــية النظام اللغوي وإلى أي نوع تنتمي الأدلّة اللغوية. وهنا نميّز بين علمين؛ اللســـانيات تهتم بالنظام الدلالي اللغوي. والســـيمياء تهتم بالبحث في كل النظم الدلالية الأخرى غير اللغوية.

وقد ميَّزت خولة طالب الإبراهيمي بين الدلالات بالنظر إلى طبيعة العلامة أو الرمز، فتعتبر أن التمييز بين العلامات يبنى على نيّة للتبليغ ووجود القصد. ومثالها الإشارة إلى أعراض المرض التي تساعد الطبيب في التشخيص، وكثافة السحب السوداء دلالة على اقتراب المطر، فهي إشارات طبيعية. أما العلامة ففيها نِـيَّـة التبليغ من قبل المتكلِّم، مثل رفع العلم الأحمر لمنع السباحة.

والفرق الآخر بين العلامة اللغوية والعلامات الأخرى، أنَّ الأولى تقوم على علاقة غير حتمية بين الدال ومدلوله على عكس الأخرى فعلاقة حتمية، ومثال ذلك: قولنا ضَربَ، فعلاقة هذه الكلمة بأصـــواتها بمدلولها اعتباطي تواضـــعي بين الجماعة اللغوية، أما رمز الميزان الدال على العدالة (الوزن بين الحق والباطل وإقامة العدل بين الناس) ورسم الميزان بيّن واضح.

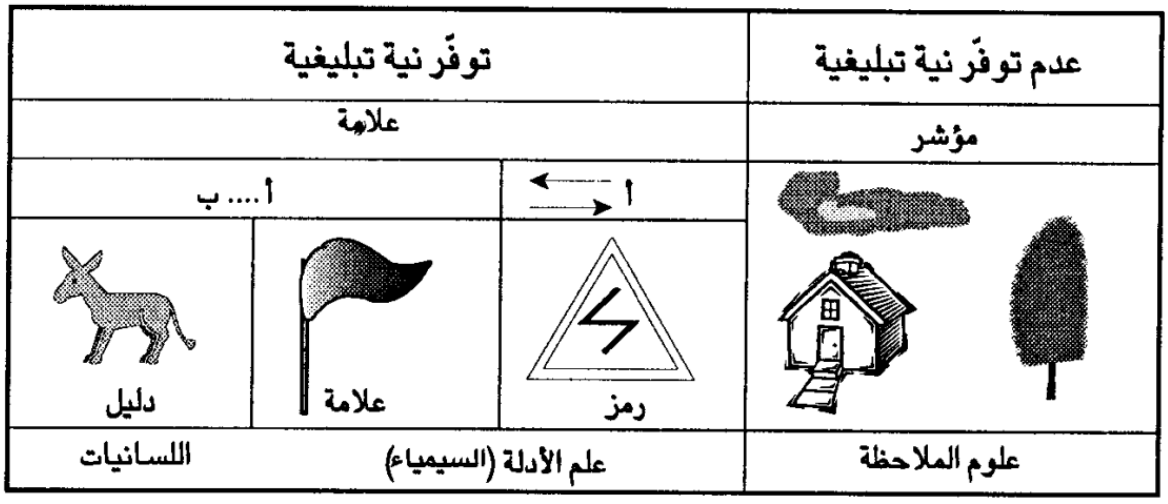

الدرس الخامس: علم الدلالة واللسانيات الحديثة 1

أولا: علم الدلالة فرع من اللسانيات:

يتحدَّث ماريو باي عن انتماء علم الدلالة للسانيات من خلال تقسيم مستويات التحليل اللغوي؛ حيث يذكر أنَّ اللغة تدرس بالوصف أو بالتتبع التاريخي فإن فيها أربعة مستويات لا تظهر الحدود بينها جيدا، ومنها المستوى الدلالي أو علم الدلالة والتي مهمته دراسة دلالة الألفاظ[1].

وتذكر نور الهدى لوشن في تقديمها لكتاب علم الدلالة لصاحبيه: كلود جرمان وريمون لوبلون أن علم الدلالة يهتمُّ بدراسة المعنى، وقد ظهر هذا المصطلح بهذا المفهوم في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي (Michel Bréal) ميشال بريال وذلك في سنة 1883 قاصدا به علم المعنى. وتؤكِّد على أنَّ هذا العلم لا يهتم إلا بدراسة الدلالات اللغوية دون سواها؛ أي يقوم بتحليل العلامات اللغوية، وإن كان الموضوع العلم له هو الأدوار التي تقوم بها العلامات مهما كان نوعها، إلا أنَّ التركيز ينصبُّ على الدلالة اللغوية. إذن فموضوعه هو هذا، والدلالة اللغوية تنطلق من دلالة اللفظة أو الكلمة بتتبع تغيُّراتها في السياقات المتنوعة لصعوبة تحديد دلالتها في الحالة الإفرادية؛ لأنها لا تملك في ذاتها دلالة مطلقة، وإنَّما السياق هو الذي يحدِّد لها دلالتها الحقيقية. فضلا عن دراسة المستويات الأخرى وتأثيرها في بعضها بعضا.

ويقول كلود جرمان وريمون لوبلون أنه من الصعب تصوُّر درس هو مدخل إلى اللسانيات العامة لا يتضمَّن ملزمة خاصة بعلم الدلالة؛ أي لدراسة الدلالة اللسانية. ومع ذلك –يحدث مرارا فيما يبدو– أن هذا المجال الهام من اللسانيات لا يتطرَّق له أصلا، أم يطرق له تطرقا طفيفا. وهذا يعود إما إلى ضيق الوقت، وإما أن ذلك يعود إلى صعوبات المادة نفسها.

[1] ماريو باي: أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر، الصفحة 44

ويعرِّف أحمد مختار عمر علم الدلالة بأنَّه " دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى "[1].

ويرى الكتب نفسه أننا لا نستطيع أن نفصل علم الدلالة عن علوم اللغة الأخرى لضرورة الاستعانة بها على بعضها. فلكي نحلِّل قولا معيَّنا لا بدّ أن نلاحظ الجوانب اللغوية الآتية[2]:

أ- ملاحظة المستوى الصوتي وكيف يحدث أثره في الدلالة، مثل استبدال صوت بصوت، ومثل النبر والتنغيم.

ب- ملاحظة المستوى الصرفي للكلمة وكيف يحدث أثره في الدلالة من خلال البنية والصيغة الصرفية.

ت- ملاحظة المستوى النحوي، وكيف يحدث أثره في الدلالة من خلال التغيرات التي تطرأ على الجملة من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وغيرها من الوظائف النحوية للكلمات داخل الجملة.

ث- ملاحظة المستوى المعجمي وكيف يحدث أثره في الدلالة اللغوية.

ج-ملاحظة التعبيرات الاصطلاحية، وكيف تحدث أثرها في الدلالة اللغوية، مثل: البيت الأبيض الأمريكي الذي هو القصر الرئاسي، والكتاب الأبيض والكتاب الأسود باعتبارهما مصطلحين سياسيين للدلالة على الجرائم والمجازر وغيرهما، والصحافة الصفراء للدلالة على الصحافة المهتمة بفضائح الفنانين والسياسيين، وخضراء الدمن للمرأة الحسناء في المنبت السوء.

وعلى الرغم من دراسة علم الدلالة للأنظمة غير اللغوية، فإن اهتمامه الأكبر هو دراسة النظام اللغوي بعلاماته.

---

[1] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص11.

[2] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 13-14

يُعرِّفُ محمود السعران علم الدلالة بقوله: " علم الدلالة، أو دراسة " المعنى " فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنَّه قمَّة هذه الدراسات. وإذا كانت الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية لم ينهض بها عادة إلا اللغويون، فإنَّ النظر في " المعنى " موضوع شارك فيه علماء ومفكِّرون من ميادين مختلفة "

ويشرح الفئات التي درست الدلالة بصفة عامّة، ففيهم قديما علماء المنطق والفلسفة، وحديثا علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفس، ومن تخصصات أخرى تبدو بعيدة مثل علماء الاقتصاد والسياسة، ومن غير العلماء والمتخصصين نجد أهل الأدب والفن والصحافة، ويبرِّر هذا الاهتمام بالمكانة التي تحتلها الدلالة فهي شأن عام يشغل بال كل المتكملين مهما كانت انتماءاتهم ومستوياتهم التعليمية والثقافية والفكرية؛ لأن حياتهم تحتِّم عليهم أن ينظروا إلى اللغة التي يستعملونها فيختارون منها ما يكون واضحا مفهوما، واعتبرها مشكلة خطيرة[1].

ويؤكِّد منقور عبد الجليل على النشأة المترابطة لعلم الدلالة مع علوم اللغة الأخرى، ففي رأيه يرتبط هذا العلم باللسانيات الذي كان يدرس اللسان البشري[2].

أما أحمد محمد قدور فيعرِّف علم الدلالة (La sémantique) بأنَّه قطاع من قطاعات الدرس اللساني الحديث، مثلها مثل الجانب الصوتي والتركيبي. ومجاله دراسة الدلالة اللغوية إفرادا وتركيبا، وإن كان المفهوم الأوّل هو هيمنة الدراسة الإفرادية[3].

ومادام الاختلاف زاقعا في تحديد موضوع علم الدلالة بدقّة ضمن الدراسات اللغوية فإن بعض الباحثين يرى أنه يهتم بدراسة الألفاظ في جميع حالاتها. وسبب هذا الاضطراب في تحديد الموضوع يعود إلى ظروف نشأته ثم تطوُّره وكثره المناهج التي تدرسه وتداخل العلوم التي تهتم به، إلا أنه يبقى أهم علم وأهم مجال يهتم بالدلالة فتدخل فيه العلوم كلها كما سلفت الإشارة.

---

[1] ينظر محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الصفحة 261.

[2] منقور عبد الجليل، ص 17.

[3] أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 337-338

لذا، والحال هذه، فإنّ الدراسة اللغوية، ولكي تقف على الدلالة، لا بدَّ لها أن تبحث عن مقاصد الكلام ومآلاته انطلاقا من أصغر وحدة لسانية إلى أكبرها بتحليل المستويات اللسانية كلها، دون أن نغفل الجوانب المحيطة بهذا الكلام من معطيات اجتماعية وثقافية.

وهكذا فإن من الموضوعات التي يتناولها هذا العلم:

- البنية الدلالية للكلمات.
- العلاقة الدلالية بين الكلمات مثل الترادف والمشترك اللفظي والتضاد.
- الدلالة الكلية للجملة، والعلاقات التركيبية والنحوية بينها.
- علاقة الكلمات بالعالم الخارجي.
- دراسة الكلمات المفردة دراسة تأثيلية.
- اتساع قضاياه لتنجم عنه فروع كثيرة[1].

ويرى محمد علي الخولي أنَّ علم الدلالة (أو علم المعنى) يبحث في معاني الكلمات والجمل، وهو أحد فروع علم اللغة النظري. وهو موضوع متشعب حيث إنه له جوانب فلسفية ونفسية ولغوية واجتماعية متعدِّدة[2].

[1] محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 11-13.

[2] محمد علي الخولي: مداخل إلى علم اللغة، ص 124.

الدرس السادس: علم الدلالة واللسانيات الحديثة 2

نناقش في هذا الدرس علاقة علم الدلالة باللسانيات، وذلك بعد استعراضنا لتعريفات علم الدلالة. حيث إن ارتباط اللغة بالأبعاد الاجتماعية والثقافية تعيق الدراسات الدلالية الحديثة. لذا قام التوزيعيون **بإبعاد دراسة الدلالة من اللسانيات**. وإذا اعتبرنا أن هذا العلم جزء من علم اللسانيات فهو لا يدرس اللغة في جانبها الكلامي، بل في تحديد وظائفه الإبلاغية والتواصلية.

وتكمن قيمة اللسانيات الحديثة هو قدرتها على دراسة مختلف أنظمة التواصل الإنساني، ولكن استقلالية علم الدلالة، وإن أبقت علاماتها مع علوم اللغة الأخرى. إلا أن تميُّز الدراسات الدلالية، من حيث عمقها في تناول عناصر اللغة من كلمات وتراكيب، " والعلوم إذا اختلفت في المنهج تباينت في الهوية وقوام العلوم ليست فحسب مواضيع بحثها وإنما يستقيم العلم بموضوع ومنهج " كما يقال. نتج عن هذا الاختلاف خروج الدرس الدلالي من دائرة اللغة واللسانيات.

وعلى الرغم من اتفاق الكثير من اللسانيين على الصلة الوثيقة للسانيات مع علم الدلالة من قبيل ما ذكره سمير شريف أستيتية من أن هدف البحث في الدلالة اللغوية هو الكشف عن حقيقة المعنى في اللغات الإنسانية، وإلى معرفة القوانين اللغوية التي تساعد على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد، وما ينضوي تحته من مضامين، والعلاقات التي تصل معنى بآخر. إلا أن اختلاف الثقافات البشرية، والمجتمعات الإنسانية، واختلاف الزمان والمكان، فإن الطريقة التي يتكوّن بها المعنى واحدة، وإن كانت التفريعات التي تنشأ حوله، تختلف باختلاف المجتمعات، واختلاف الزمان والمكان. ولهذا، كان علم الدلالة من العلوم اللسانية النظرية التي تدرس المعنى باعتباره ظاهرة لغوية عامة. وبالمقدار الذي ينجح فيه العلماء بدراسة الدلالة –باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة– تكون الدراسة صالحة للتطبيق على دراسة المعنى في اللغات المختلفة.

ويرى نعمان بوقرة أنَّ علم الدلالة (sémantique/semantics) من أهم التخصصات اللسانية الحديثة، وربما كان أهمها على الإطلاق لكونه مصب جميع الدراسات اللسانية الأخرى من صوتية وصرفية وتركيبية لارتباطها جميعا بمسألة المعنى سواء في المستوى الإفرادي أو المستوى السياقي. إلا أنه بقي فترة طويلة هامشيا في الهموم اللسانية المعاصرة بسبب النظرة السلبية المشكِّكة

في حقيقة المعنى، فلقد نظر إليه بعين غير راضية، ولعلّ هذا ما دفع غريماس لنعته بالقريب الفقير للسانيات[1].

غير أنّ هذا العلم لم يتطوّر إلا في منتصف القرن العشرين بفضل اكتساب معطيات جديدة عن واقع اللغات قدّمتها اللسانيات الجغرافية وعلم اللهجات واللسانيات الاجتماعية، واستخدام إجراءات بحثية متنوِّعة، أما شارل موريس (Ch.Morris) فيجعل من علم الدلالة فرعا من فروع السيميولوجيا أو علم العلامات والرموز، والتي ترتكز على البراغماتية وعلم التركيب وعلم الدلالة.

كما تمتاز الدلالة العامة (sémantique generale) عن علم الدلالة الرمزية التي تقوم على مبادئ المنطق الرمزي، ويعرف أنصارها بالمناطقة الرمزيين، ويعدّ كارناب أحد أهم أنصار هذا الاتجاه في الفلسفة الغربية الحديثة، كما شهدت اللسانيات في إنجلترا تطور علم الدلالة، فأثمر هذا الاهتمام مصطلحات جديدة دالة على العلم،و إن كانت أقل شيوعا من المصطلح المعروف sémantique، مثل سيماسيولوجيا semasiologie، وسيماتولوجيا sematologie، وغلوسولوجي Glossologie، وريماتيك Rhematique، وريماتولوجي rhematologie.

أثمر النظر الدلالي الحديث اتجاها جديدا عرف بالدلالة البنيوية مثَّلته أعمال ر.م.ماير (R.M.Mayer)، كما قدّم تيرير (Terier) رؤية متكاملة عن المجالات الدلالية (semantics Fields). هذا وقد تطوّر البحث الدلالي على يد نخبة من اللسانيين مثل: س.أولمان (Ullman)، في كتابيه مبادئ علم الدلالة (1957) ومختصر في علم الدلالة الفرنسي (1952) (Precis de semantique francais)، و أ.ف.زفيجينتسيف (A.F.Zvigintsiv)، في الدلالة والسيميولوجيا (1957)، و ريجنيل (Rebnell Regnell)، في علم الدلالة (1958)، بالإضافة إلى مساهمة ب.جيرو (P.Guiraud)، في علم الدلالة ضمن سلسلة (Que sais-je ?).

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات العامة الميسرة، ص 181-184.

ونختم درسنا هذا بهذا التمييز الدقيق على اعتبار أنَّ علم الدَّلالة جزءٍ منَ اللسانيَّات، فهو اختلاف في الموضوع، فإذا كانت اللّسانيَّات هي الدراسة العلميَّة للُّغة، والدراسة العلميَّة دراسةٌ تجريبيَّةٌ، وتَعْنِي الدراسة التجريبية: إجراء اختبار؛ للتأكُّد من صِحَّة الموادِّ المختبَرَة، إن الدراسة التجريبية يمكن تطبيقها على الأصوات؛ لأنَّنا نستطيع مُلاحظةَ ما يَحدُث، فقد نستطيعُ الإصْغاء لشخْص يتحدَّث، ونستطيع أن نشرح العمليات التي يقوم بها الحبلان الصوتيان، ونستطيع بواسطة الآلات العلمية قِياس السِّماتِ الفيزيقية للأصوات المنتَجة؛ ولكن هذا غير ممكن تجريبيا مع الدَّلالة، وتزعم بعض النظريات التي تدرس الدَّلالة بأنها علميَّة؛ ولكنها جميعًا أثْبَتَتْ أنها ليست علمية بقدر كافٍ، وهنا نُواجِه مشكلة عامَّة تتلخص في نقطة واحدة هي: ماذا يقصد الباحثون بالعلمية والتجريبية في سياق الدرس اللساني؟ هذه مسألة موضع نظر. والأمر الآخر أنّ الدَّلالة ليست ثابتة بحيث تُدرَس مثل الجانب الشكلي للغة.

الدرس السابع: الدلالة الصوتية والصرفية

يقسِّم إبراهيم أنيس الدلالات بحسب مصدرها إلى: دلالة صوتية، دلالة صرفية، دلالة نحوية، ودلالة معجمية اجتماعية.

أولا: الدلالة الصوتية:

يعرِّفها إبراهيم أنيس بأنها " هي التي تُستمَدُّ من طبيعة بعض الأصوات "، ويضرب مثالا على ذلك بكلمتي: تَنْضَخُ وتَنْضَحُ؛ فالأولى تدلُّ على فوران السائل في قوّة وعنف، والأخرى تدلُّ على تسرُّب السائل في تُؤَدة وبُطْء. وتفسير ذلك يعود إلى قُوَّة صوت الخاء وضعف صوت الحاء.

فيظهر دور الأصوات في تحديد الدلالة الصوتية، ومن ثم الدلالة المعجمية للكلمة، وذلك في سياق تركيب الكلمة من أصواتها المكوِّنة لها، اعتمادا على نوعيهما الصوامت (consonants) والصوائت (vowels)، وهي أساس الكلمة فلا يمكن الاستغناء عنها.

ويوضّح أحد الباحثين مفهوم الدلالة الصوتية بقوله:" تعتمِدُ على تغيُّر الفونيمات، أيْ استخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، حتى يحدُث تعديلٌ أو تغيير في معاني الألفاظ؛ لأنَّ كُلَّ فونيم مقابلٌ استبداليٌّ لآخر، فتغيُّره بغيره لا بدّ أن يعقُبه اختلاف في المعنى، كما نقول في العربية: نَفَرَ ونَفَذَ، فبِمُجرَّد استبْدال الرّاء بالذَّال يتغيَّرُ معنى الكلمتين بصورة آلية "، ويَخْلُص إلى نتيجة عامة، يقول فيها:" وعليه كُلُّ حرْف أو حرَكة في اللغة العربية يمكن أن يكون مقابِلا استبداليا، فالحروف في تبدُّلِها ذات وظيفة فونيمية، كذلك الحركات لها دلالة صوتية، أي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات ".

ومن تعريفاتها كذلك أنها عبارة عن معان مستوحاة من أداء ألفاظ معيَّنة بطريقة معيَّنة، وفي تغيير صوت واحد أدّى ذلك إلى تغيير الدلالة.

يُعرِّفها محمود عكاشة بأنها:" تتحقَّقُ في نِطاق تأليف مجموع أصواتِ الكلمة المُفردة، وتسمّى بالعناصر الصوتية الرئيسية، والتي يرمز إليها بالحروف الأبجدية: أ، ب، ت،...، ويشكّل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي ".

إذا كانت الأصوات التي ذكرناها آنفا تسمّى عناصر أساسية، فإن هناك من الأصوات ما يسمّى بالأصوات الثانوية. من خلال تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي، وتُعَدُّ هذه العناصر أكثر إسهاما في الدلالة من العناصر الصوتية التي تصاحب الكلمة المفردة[1].

وقد قسّم ابن جني هذه الدلالة انطلاقا من معايير نذكرها فيما يلي:

أ- **الدلالة الصوتية الطبيعية:** وهي قدرة أصوات الطبيعة في تحديد المعنى، وهو ما يعرف في نظرية المحاكاة (أصوات الطبيعة) في أصل اللغات أو العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

ب- **الدلالة الصوتية التحليلية:** وهي المستنبطة من نوعين من الفونيمات:

- **دلالة الفونيمات التركيبية،** وهي (الصوامت) و(الصوائت).
- **دلالة الفونيمات فوق التركيبية،** مثل النبر والتنغيم.

ثانيا: الدلالة الصرفية:

يُعرِّف إبراهيم أنيس **الدلالة الصرفية** بأنها تُستمَدُّ عن **طريق الصيغ وبنيتها،** ففي مثال تخيّر المتكلِّم كلمة صدّيق بدلا من صادق؛ لأن الأولى جاءت على صيغة يُجمِع اللغويون القدماء على أنّها تُفيد المُبالغة فكلمة صدّيق تزيد في دلالتها على كلمة صادق، وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعيّنة، فاستعمال كلمة صدّيق يوحي للمستمع دلالة لا يتصوّرها لو استعمل المتكلِّم كلمة صادق.

ويعرِّفها عبد الكريم مجاهد بقوله: " وهذه دلالةٌ تقومُ على ما تُؤدِّيه الأوزانُ الصَّرفية العربية وأبنيتُها من معانٍ ".

يُعرِّف محمود عكاشة علم الصرف بقوله: العلم الذي تُعرَفُ به الأبنية المختلفة للكلام، وما يُشتقُّ منه كأبواب الفعل وتصريفه وتصريف الأسماء وأصل البناء.

[1] محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 18.

ولكل بناء من تلك الأبنية دلالة في المعنى إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية يقوم على المعنى المراد، فالمتكلِّم يتحكَّم في تصريف الكلمة الأصلية بزيادة أو نقصان أو نقل من زمان إلى زمان. (محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 61).

وتقسَّم الوحدات الصرفية ذات الدلالة قسمين:

- **القسم الأول:** الأوزان الصرفية مثل أوزان الأفعال، والمصادر والمشتقات.
- **القسم الثاني:** الزوائد أو اللواصق، وهي السوابق (Prifixes) واللواحق (Suffixes) والدواخل (Infixes)، وهي التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة.

وبالعودة إلى ابن جني نجده يعرِّف الصرف في كتابه التصريف بقوله:" هو التلعّب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها "؛ فالتصريف على حدّ تعبير ابن جني:" إنما هو معرفة أنْفُس الكَلِم الثَّابتة "، فيربط بين الصرف والمعنى ربطا مباشرا؛ فالتلعّب بالحروف الأصول يؤدّي إلى إفادة معانٍ جديدة، من هنا يمكن أن نحدِّد المقصود بالدلالة الصرفية عند ابن جني بشكل خاص وفي الدراسات اللغوية بشكل عام، وقد بيّن عبد الكريم مجاهد أنّ الدلالة الصرفية تقوم على ما تؤدّيه الأوزان الصرفية العربية وأبنيتها من معان. وبناء على ما سبق فالدلالة الصرفية هي الدلالة التي تُستَمدُّ من أبنية الكلمات واشتقاقاتها وتقلباتها وصيغها الصرفية، بالإضافة إلى أوزانها الصرفية وما تحويه من دلالات ومعان. وهذه الدلالة نجدها عند ابن جني باسم الدلالة الصناعية، ويقصد بها دلالة البناء أو الصيغة الصرفية على معنى.

أي الاستدلال على الفاعل من الفعل. وبصورة أخرى منطقية لا فعل بدون فاعل، وهي أقرب ما تكون إلى العلاقة النحوية بين الفعل والفاعل. وهذه الدلالة في المرتبة الثالثة من القوّة بعد اللفظية والصناعية.

والدلالة الصناعية في نظره تستمدّ قوّتها من الدلالة اللفظية من قِبَل أنها إطار للفظ، أو بالأحرى القالب الذي تصبُّ فيه الألفاظ وتُبنى على صورته ومنواله. أي أنَّ الصيغ عبارة عن صور الألفاظ؛ فصيغة فاعل صورة أو قالب لكل اسم فاعل يأتي من الثلاثي، نحو: فائز، نائم، حاضر.

ومن المقرّر بصورة بدهية أنّ لكل قسم من أقسام الكلام دلالة؛ فالاسم إذا كان مصدرا يدلُّ على حدث، وإذا كان عَلَمًا يدلّ على معيَّن، والفعل يدلّ على الحدث والزمن. زأما كان وأخواتها، ففي رأي ابن جني تدلّ على الزمن فقط دون الحدث. والحرف أداة ربط بين الأساليب كالشرط والاستفهام، أي أنها تقوم بوظيفة نحوية بربطها بين مفردات التركيب، أو بإقامة نوع من العلاقات في السياق.

وابن جني، بما هو معروف عنه من امتلاك ناحية التصريف، استطاع أن يدرك كثيرا من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية المطّردة تنمّ عن فهم عميق للتغييرات الصرفية التي تتعاور الكلمة من أجل الأغراض الدلالية.

ومن القيم الصرفية التي أدركها ابن جني ما يسمّى في علم اللغة الحديث المورفيم (Morphème) أو دالّ النسبة التي تعبّر عن النسب التي يقيمها العقل بين دوال الماهية. والمورفيم عنصر صرفي، مستقل ومقيّد. وأمّا المستقل فهو جزء الكلمة الذي يمكن استقلاله بنفسه مكوّنا كلمة، وقد سمّاه فندريس دالّ الماهية (semanteme)؛ لأنه لا يطلق لفظ المرفيم إلا على العنصر الذي يعبّر عن النسب بين الماهيات، أي على المورفيم المقيّد الذي يتحتّم اتصاله بسواه، كالسوابق واللواحق التي تدلّ على الفصائل والنسب النحوية. إنّ كلمة مسلمون في العربية فيها: مسلم مورفيم حر والواو والنون مورفيم مقيّد.

وقد أدرك ابن جني القيمة الدلالية للمورفيم قبل أن يدركها علم اللغة الحديث؛ فمثلا حروف المضارعة وإن كانت تتساوى في إفادة الحال أو الاستقبال للفعل الذي تزاد عليه، فهي لها قيمة أخرى، أي لها وظيفة دلالية أخرى، وهي الدلالة على الفاعل: أَضربُ مثلا تعنى أن الفاعل هو

المتكلِّم مفردا، بدليل وجود الهمزة، والنون في نَضرِبُ دليل على أن الفاعل جمع من المتكلِّمين، والتاء في تَضرِبُ دليل على أنَّ الفاعل مفرد مؤنث غائب أو مفرد مذكّر مخاطب حسب السياق، والياء في يَضرِبُ تدلُّ على أن الفاعل مفرد مذكّر غائب، وهذا واضح من قوله:" تقديمه لحرف المعنى في أوّل الكلمة، فقدّموا دليله، وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أوّل الفعل؛ إذ كنّ دلائل على الفاعلين، من هم، وما هم وكم عدّتهم، نحو: أفعل، ونفعل، وتفعل، ويفعل ". وهو بذلك يتكلّم عن خصيصة في صيغة الفعل في اللغة العربية، وهي دلالته على ذات الفاعل، أو أنه يتضمّن ضمير الفاعل في تركيبه؛ مما لا تتوافر لكثير من اللغات، كاللغات الأوروبية التي لا تستغني عن إثبات الضمير؛ لأن الأفعال فيها يمكن ألا تتضمن ضمير الفاعل من خلال تركيبها، وخاصة إذا كانت في حالة يسمونها (Infinitive Case)، مثل: (to see, to come).

الدرس الثامن: الدلالة التركيبية والسياقية

في هذا الدرس نستكمل حديثنا عن أقسام الدلالة بحسب مصدرها، فقد تحدثنا عن الدلالتين الصوتية والصرفية (الصناعية عند ابن جني)، وفي هذا الجزء سنتحدّث عن الدلالة التركيبية النحوية والدلالة السياقية، وستبدأ بالحديث عن علاقة علم الدلالة بالتركيب والنحو، ثم علاقة النحو بالصرف وبعدها نتحدّث عن السياق ودلالاته، فمما يذكره محمد عبد اللطيف حماسة (في كتابه: النحو والدلالة) أنَّ علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى، والنحو يهتم بدراسة المستوى التركيبي للغة، وهما مرتبطان ببعضهما، وقد سبق الحديث فيه من قبل سيبويه ومن جاء بعده فربطوا المعنى بالتحليل النحوي، وكانت غاية التحليل أو الإعراب بالمعنى الاصطلاحي عندهم إنما هي بيان لوظائف تتصل بالمعنى.

وبالنسبة لعلم الصرف فهو سابق عن علم النحو ومقدِّمة له، لا ينفصل أحدهما عن الآخر في الدرس اللغوي الحديث؛ فعلم الصرف يهتم أساسا ببنية الكلمة كي تكون موظَّفة في الجملة أو التركيب النحوي. وقد سبق ابن جني اللسانيات الحديثة عندما جعل علم الصرف جزءا من علم النحو، ويثبِتُ هذه العلاقة من خلال تعريفه لعلم النحو فهو:" انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرُّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب ". فهي في اللسانيات من مباحث النحو، وقد اعتبرها ابن جني كذلك في ذكره إياها ضمن وسائل النحو.

يقول الجرجاني عبد القاهر في دلائل الإعجاز، في نفس السياق: " إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد..."[1].

1-الدلالة النحوية:

تجمع الدلالة النحوية بين دلالتين؛ دلالة الموقع الإعرابي ودلالة تعبيرية، فكل كلمة في سياق التركيب تشير إلى دلالة معيَّنة. يشرح ذلك فايز الداية من خلال تبيان مكانة الدلالة النحوية

[11] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص353.

للكلمة في موقع إعرابي معيَّن وفي تركيب إسـنادي والوظائف التي تؤدّيها داخله، وقد سـمّاها ابن جني بالدلالة المعنوية[1].

لمصـطلح النحو دلالة عامة في الدرس القديم، ودلالة خاصـة في الدرس الحديث، فمصـطلح (Syntax) لا يعني النحو بمعناه القديم، وإنما يعني فرعا من فروع النحو (Grammar)، والأخير هو المقابل المعنى العام القديم. والتركيب يعني التأليف أو نظم المفردات في شـكل معيَّن، وهو لا يعني الجملة المفيدة في كل السياقات، فقد يعني تأليف الحروف لتكوين كلمة، وهو ما يعرف بنظم حروف الكلمة. ومصـطلح تركيب يعني الترتيب أو التأليف، وقد اسـتخدمه التقليديون على أنه أحد فروع النحو، الذي عالج نظام ترتيب الجملة والعلاقات التي تربط بين أجزائها، وأثرها في المعنى، وأثر إعادة ترتيب الجملة وما قد ينجم عن تلك العلاقات من تغيرات صرفية[2].

تنتمي الدلالة التركيبية إلى علم الدلالة التركيبي، وهو العلم الذي يهتم بدراسة دلالة الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكبا لوضع علم النحو العربي[3].

وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة لعلم الدلالة التركيبي أو علم دلالة الجملة في الغرب، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي[4].

ومعنى الجملة عند الغربيين وظيفة معاني أجزائها، أو معنى الوحدات القاموسية، والصلات الدلالية بين مكوِّنات الجملة، كما بحثوا معنى الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقَّق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات[5].

---

[1] ينظر فايز الداية: علم الدلالة العربي– النظرية والتطبيق– ص21.

[2] محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 118.

[3] المرجع نفسه، ص 119.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والمعنى إذن هو محصِّلة التفاعل الدلالي بين معنى الألفاظ من ناحية ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى[1].

والمعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف مخصوص، وكذلك رأى بعض علماء اللغة المحدثين أنَّ الجملة لا الكلمة أهم وحدات المعنى، فليس للكلمة معنى منفصل عن سياقها، بل معناها يحدِّده السياق الذي ترد فيه[2].

فالتفاعل بين الكلمات، ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معا، فبين الجانبين تعاون مشترك وتبادل تأثيري[3].

وتعرف الدلالة التركيبية بأنها الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستمد من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد[4].

ويوجد فرق بين المعنى المعجمي المألوف لنا والمعنى التركيبي، الذي يتعلَّق بقواعد اللغة (النحو) فالمعنى النحوي هو محصِّلة العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة، وهو ما تدلُّ عليه الكلمات باعتبارها رموزا للأشياء والأحداث والأفكار كما يتمثَّلها المتحدِّث باللغة: فمثلا الكلمات مثل: كرة، ولد، ضرب، لها معنى معجمي نجده فيما بين أيدينا من المعاجم، ولكن مثل هذه الكلمات ليس لها معنى نحوي، حتى توضع في تركيب معيَّن بطريقة معيَّنة، حيث يكشف هذا التركيب عن طبيعة العلاقات النحوية بينها، كأن نقول مثلا: ضرب الولد الكرة، الولد ضرب الكرة، وهنا فقط نظهر العلاقات النحوية بين هذه الكلمات[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 123.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق، ص 125.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المرجع نفسه، ص 128.

ويؤكِّد ابن جني أنّ للألفاظ وظائف داخل التركيب، تبرز من ناحية الدلالة لا من ناحية اللفظ، فقد علمت أنَّ دلالة المثال على الفاعل من جهة معناه[1]. فهي دلالة معنوية.

إنَّ الدلالة الأساسية للجملة قديما هي تعبيرها عن معنى تام. وإذا كانت الجملة تتكوَّن من أجزاء هي كلماتها، فإنَّ دلالتها تقوم أساسا على دلالة هذه الأجزاء أي دلالة الكلمات. ولما كانت الجملة وحدة نحوية تقوم على تسلسل كلماتها وتعيين وظائفها؛ فإنَّ هذه الوظائف النحوية تسهم هي كذلك في تعيين دلالة الجملة نحو غشَّ المشتري البائع وغشَّ البائعُ المشتري، إنَّ كلا من البائع والمشتري في الجملتين لهما وظيفة تختلف عن الأخرى، فعندما يكون فاعلا يكون هو القائم بالغشِّ وعندما يكون مفعولا يكون هو ضحيّة هذا الغشّ هذه هي الدلالة الوظيفية التي تضيفها الجملة إلى دلالة مفرداتها المعجمية[2].

ولا تضيف الجملة الدلالات النحوية إلى جانب الدلالات المعجمية فحسب، بل كذلك الدلالات التداولية، ويكون بتحديد الموضوع المشترك بين المتكلم والمخاطَب[3].

2-الدلالة السياقية:

تشير الدلالة السياقية إلى ذلك الترابط العضوي بين مكوّنات الجملة، فهي تشكِّل نسقا لغويا مترابطا متراكبا ومتسلسلا. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتجاوز إلى مجموع الجمل التي يتشكَّل منها النص، وهذا المفهوم أوضحه اللساني ستيفن أولمان حين تحدَّث عن تعريف السياق، فوسَّع منه لكي يصل إلى النص والقطعة والكتاب، شاملا للظروف المحيطة بالوحدات اللغوية[4].

وفي سياق دلالة الجملة نعتبر أنها تملك قيما دلالية في بعديها البنيوي والوظيفي، وقد تستقل الجملة بدلالتها داخل النسيج الدلالي للخطاب، وهذا لا يعني نفي عنها انفصالها عن النص وسياقه

---

[1] المرجع نفسه، ص 130.

[2] ينظر صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، ص 54.

[3] ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال محمد بشر، ص62

العام؛ لأنها ببســاطة ضــمن المجال الدلالي لجمل النص بأكملها. فهناك رابطة معنوية بينها وبين الجمل الأخرى وإن بدت مستقلة بدلالتها وتركيبها "[1].

وتتعيَّن الدّلالة السِّياقية بالاستعانة بالسِّياق اللّغوي الذي يسوِّر الكلمة أو الجملة، ثم السياق الاجتماعي وسـياق الموقف والسـياق الثقافي، فالكلمة في الجملة ضــمن سـياق لغوي معين، وفي مقام معين، وفي ظروف وملابسات معينة توضح الدلالة الدقيقة للكلمة من خلال هذا السِّياق[2].

[1] ينظر عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية: ص153

[2] ينظر: فريد عوض حيدر: علم الدلالة، ص 56.

الدرس التاسع: نظريات دراسة المعنى 1 (التصورية، الإشارية)

يرجع الاختلاف بين الباحثين والعلماء في النظر إلى الدلالة إلى **اختلافهم في المنهج أو الطريقة المعتمدة في الدراسة**، وقد رأى منقور عبد الجليل أنَّ النظريات الغربية الحديثة التي بحثت في الدلالة، لا تخرج عن **خمسة مجالات تتناول بخمسة مناهج** هي:

- **المنهج الصوري** وطريقته هي وصف المدلولات من حيث شكلها الذي يتجمع في نسق واحد ذات الأصل الواحد.
- **المنهج السياقي** وفيه تصنَّف المدلولات لدواع تركيبة وتعبيرية وأسلوبية.
- **المنهج الموضـــوعي المقامي** وفيه يتحدّد مدلول الكلمات داخل الخطاب، بالنظر إلى أحوال المتكلمين ومقاماتهم ومواقفهم.
- **منهج الحقول الدلالية** ويقوم على صـياغة بنية المدلول الداخلية، والنظر إلى العلاقات الدلالية بين المدلولات.
- **منهج التحليل المكوِّناتي** وفيه تحلل الألفاظ إلى مكوِّناتها بالنظر إلى سماتها التي تميِّزها.

وفي هذا الدرس نشـــرح ثلاث نظريات دلالية: **النظرية الإشـــارية، والنظرية التصـــوّرية، والنظرية السلوكية**، والتي تشترك في خاصية أساسية وهي **خاصية التعيين (Identification)**: إنّ معنى عبارة ما هو ما تحيل عليه العبارة (النظرية المرجعية)، أو هو الفكرة المرتبطة بالعبارة في ذهن المتكلِّم (نظرية الأفكار)، أو هو الحافز الذي يدعو إلى التلفظ بالعبارة و/ أو الاســـتجابة السـلوكية التي تحدثها العبارة (النظرية السـلوكية). بهذا تجيب هذه النظريات عن السـؤال: ما هو المعنى؟ عن طريق تعيين المعنى بشيء آخر[1].

[1] عبد المجيد جحفة: مدخل إلى علم الدلالة الحديثة.

أولا: النظرية الإشارية:

1-أصولها:

يشير بعض الباحثين إلى أنّ أصول هذه النظرية فلسفية-منطقية وسيكولوجية[1]؛ لاعتمادها في تفسير وتعليل مداركها على مصطلحات هذه العلوم. ويرى (Southworth) وزملاؤه، أنها من النظريات الأولى، التي عرضت لهذا المفهوم النظري، في الإحالة المرجعية لمدلولات الأشياء، وهي تسجِّل في كشوفاتها، أنَّ وحدات اللغة المفردة، والتراكيب تمثِّل رموزا لمدلولات معيَّنة، كالدخان الذي يعني النار[2].

2-أُسُـــسها:

يرجع الفضـل إلى العالمين الإنجليزيين أوجدن وريتشـاردز في وضـع الأسـس العلمية للنظر في اللغة ونظامها، وتمييزهما لأركان المعنى وعناصـــره انطلاقا من النتائج التي توصَّـــل إليها اللساني السويسري فرديناند دي سوسير في تحديده لمفهوم العلامة اللغوية وعناصرها المكوِّنة لها، يقول ميشـال زكريا في هذا الشـأن: " **الوحدة اللغوية المتكوّنة من دال ومدلول، الدال هو الإدراك النفســـاني للكلمة الصـــوتية والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترن بالدال** ". وقد تعدّدت تسمية هذه النظرية فهي **النظرية الاسمية في المعنى** التي تنظر إلى الدلالة على أنها هي مســـمّاها ذاته ". وهي النظرية الإشـــارية، ونظرية الإشـــارة والنظرية المرجعية أو نظرية المثلَّث الإشاري، ومنه اشتهر مؤسساها بمثلثهما الذي يميّز عناصر الدلالة انطلاقا من المحتوى الذهني ثم الرمز، وانتهاء بالمشار إليه.

---

[1] محمد محمد يونس علي: مقدِّمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 17.

[2] عبد القادر عبد الجليل: المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام، ص 176.

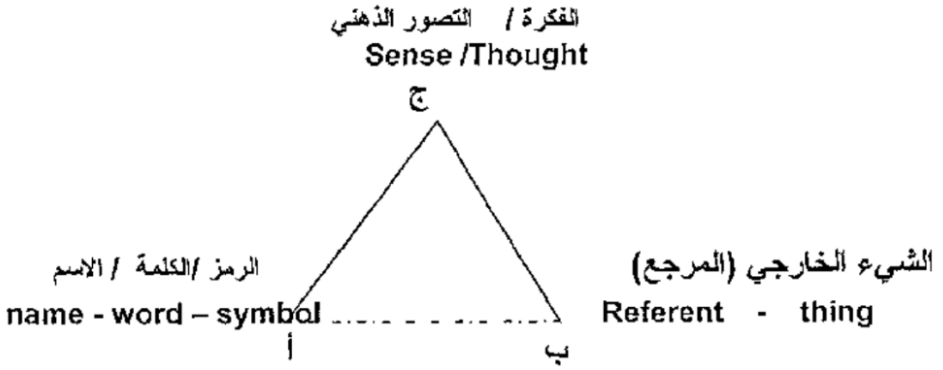

شرح المثلث الإشاري:

يعتبر المثلث الإشاري بمثابة الإنجاز الكبير في حقل الدلالة؛ لأنه فتح الباب لظهور نظريات دلالية جديدة، حيث تدين كلها لهذا المثلث، ذلك أنّها تناولته في دراستها بالتركيز على أحد عناصره المثلّث بتحليل عميق أو عنصرين اثنين أو ثلاثة عناصر، استناداً إلى أنَّ " **معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها** ". يشرح عبد القادر عبد الجليل مثلَّث أوجدن وريتشاردز انطلاقا من عناصره التي رمز لها بـ (أ)، (ب)، و(ج)، بما يلي:

- لا توجد علاقة بين الكلمة (أ) كرمز، والشيء الخارجي (ب) الذي تعبِّر عنه.
- الكلمة عندهما= 1–صيغة مرتبطة بوظيفة رمزية.2–محتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع.
- هذه الرؤية المزدوجة القيمة للكلمة هي رؤية دي سوسير، ومقياسه المعيار المثل بـ (وجهي العملة/ أو الورقة)، الذي يستحيل معه الفصل، فكذلك (أ) و (ج).
- تركِّز أبعاد النظرية على أنَّ (دلالة اللفظة) هي إشارتها إلى شيء خارج نفسها. وفي هذا، وذاك رؤى، ومداخلات متعدِّدة، كنوع المشار إليه، وعموميته، وعليها أن تتعرّض لرسم حدود الرؤية اللغوية، عن طريق مؤشرات، من خارج إطار اللغة.

إنَّ المدلول، في نظر البعض من أتباع هذه النظرية، هو العلاقة التي تربط بين المنطوق، وما يشير إليه. وتبدو هذه العلاقة غير مباشرة، إنما علاقة (اصطلاحية) تعتمد العرف الاجتماعي.

ومن هذا المتّجه، أوجد صُنّاع هذه النظرية الخط المُنقّط بين المرجع (المقصود بالإشارة)، والرمز اللغوي (التفاح). فالنقطة (أ) تمثِّل رمز التفاح، والنقطة (ب) تمثِّل المقصود وهو التفاح، والنقطة (ج) تمثِّل المحتوى العقلي لشكل وهيئة الرمز المنطوق (التفاح).

ويرى أحمد مختار عمر، في تحليل المثلَّث الإشاري، أنَّ له تأويلين:

أ-هناك من يرى أنَّ دلالة الرمز هو ما يشير إليه.

ب-وهناك من يرى أنَّ دلالة الرمز هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه.

فإذا ركزنا على التأويل الأول اكتفينا بدراسة جانبين من المثلّث وهما الرمز والمشار إليه. وإذا ركّزنا على التأويل الثاني درسنا كل عناصر المثلث؛ لأنَّ الوصول إلى المشار إليه يكون عن المحتوى الذهني[1].

3-مزاياها:

من مزايا هذه النظرية أنّها أثّرت في نظريات أخرى بعدها، انطلاقا من التقسيم الذي أنشأته وعناصر المعنى التي أبرزتها، فأدّت إلى ميلاد علم جديد هو علم العلامية أو السيميولوجية (منقور عبد الجليل). كما ساعدت في دراسة بعض القضايا الدلالية ذات الطبيعة المنطقية ولاسيما الترادف (synonymy) والتضاد (antonymy) والاندراج (Hyponymy)، والعكس (Inversion)، والانضواء (Inclusion)، والتناقض، والحقول المعجمية (Lexical fields)، وقد كان لما يعرف بعلاقات الإحالة، وعلاقات الهوية sense حظ كبير في توضيح تلك القضايا. ويقصد بعلاقة الإحالة العلاقة بين وحدة معجمية ما، وما تحيل عليه من معنى في العالم الخارجي، كما يحيل لفظ رجل على إنسان بالغ ذكر. أما علاقة الهوية فهي علاقة الوحدة المعجمية بغيرها من الوحدات المعجمية التي تتضمنها اللغة؛ إذ إنَّ هذه العلاقة مفيدة في تمييز المفاهيم بعضها من بعض، فكلمة

[1] ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 55.

رجل مثلا تعني ما ليس امرأة، ولا طفل، ولا طفلة من البشر. وبذلك أعانت الوحدات المعجمية «المرأة»، و«طفل»، و«طفلة»، في تحديد مفهوم رجل، وقد قيل قديما وبضدها تتميز الأشياء[1].

4-نقـــدها:

على الرغم مما قدّمته هذه النظرية للدرس الدلالي إلا أنها لم تستطع تجاوز الصعوبات والعقبات التي تحول دون تحديد الدلالة، وأهم صعوبة في تحليل العلامة اللغوية في هذه النظرية هو تناول المحتوى الذهني أو الفكرة خاصة وأنها ذات طابع تجريدي غير قابل للتجسيد، وفي مقابل هذا المبحث نجد نظرية الإشارة تعتبر أنّ المعنى متحقِّق في " المرجع الخارجي (كالتفاح مثلا) في معنى كلمة (تفاح) فإنّه يكون بالإشارة إليه في الواقع الخارجي، كأن يكون السائل في بستان مثمر بالفاكهة المنوّعة، والتفاح بعضها. لكن ذلك لا يؤشِّر إلا البنية الخارجية والشكل الذي يكون عليه التفاح. هذا الأمر لكي يدرك بشكل متكامل يتطلّب الفهم الواعي لمنظومة اللغة، وطريقة عملها البنائي، والمعياري "[2].

تحدِّد نظرية الإشارة المعنى بأنَّه **المشار إليه**، أي الشيء، أو المرجع الموجود في الخارج، وقد تعرَّضت هذه النظرة إلى المعنى إلى عدد من الانتقادات أهمها:

- إنَّ أكثر ما يسجَّل على قصور هذه النظرية، في تفسير المعنى، أنها تدور في دائرة المحسوسات، وإذًا فما هو شأن المسمّيات غير المادية، كالسعادة، والشقاء، والحزن، والقبح، والجمال، والكرم، والوفاء.
- لو كان المعنى هو المشار إليه لكانت الألفاظ المختلفة التي تشير إلى لفظ واحد كتلك التي تشير إلى آدم عليه السلام في المثال السابق مترادفة في معانيها، ولكن الأمر ليس كذلك.

---

[1] محمد محمد يونس علي، مرجع سابق.

[2] عبد القادر عبد الجليل. مرجع سابق.

- لو كان المعنى هو المشـار إليه لكان كل ما ينطبق على المشـار إليه انطبق على المعنى، فأكل التفاحة مثلا يعني أكل المعنى. يقول أحدهم، أنني لو أكلت التفاحة، فهذا يعني أنَّ التفاحة بقيت خارج دائرة المدلول، أي (بدون معنى)[1]!
- الألفاظ المجرَّدة **كالحب والعدل والحروف والأدوات** كمن وإن ولكن ليس لها وجود خارجي تشير إليه، ومع ذلك لا أحد ينكر أن لها معاني.
- أنه لا يمكن أن تتعدَّد المعاني بتعدُّد المراجع في العالم الخارجي؛ إذ لا يمكن أن يكون لنا من المعاني بقدر عدد التفاحات الموجودة في العالم[2].
- كذلك اسـتحالة وجود مراجع خارجية، لكل دليل في كون الموجودات إضـافة إلى ذلك، فإنه من غير الممكن، (إلا بنسـبة ضـئيلة لا تتعدّى 5%)، تطبيق أبعاد النظرية، على الأدوات النحوية (المورفيمات)، بكافة أشـــكالها، وهي في حالة الإفراد، إلا إذا دخلت في منظور سياقي داخل الخطاب، فإنه من الممكن، في الغالبية إحالتها إلى مرجعية.

ثانيا: النظرية التصوُّرية:

1-أصولها:

تعود أصول هذه النظريـة، في صورتـها القديمة، إلـى الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (ق 17م)، والذي سمّاها نظرية العقل، واعتبر أن الكلمات المستعملة هي الموصلة إلى الأفكار والأفكار التي تمثلها تعدّ دلالتها المباشرة. فهي تعتمد على اللغة لعبور الأفكار، أو نقل المعطيات الداخلية خارجيا[3].

ويبدو أنَّ هذا التوجُّه في دراسة المعنى، هو بيان معاد لصياغة الرؤيا التقليدية، التي تؤكِّد أنّ ماهية الكلام الجوهرية، هي أن يعبِّر عن الفكر. وهي في كل ما تجاهد فيه من رسم أبعاد نظرية

---

[1] عبد القادر عبد الجليل.

[2] محمد محمد يونس علي.

[3] ينظر أحمد مختار عمر، وعبد القادر عبد الجليل، وينظر منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي.

المعنى، إنما تحاول أن تبتعد عما وقعت في النظرية (الإشارية) المرجعية من الإشكالات السالبة في تبنيها لمفهوم المرجع[1].

2-أُسُـــسـها:

تختلف هذه النظريـة عن النظريـة الســـابقة في الجـانـب الـذي تركّز عليـه، فتركّز على التصـــورات الذهنية للوصـــول إلى الدلالات، على عكس الإشـــارية التي تركّز على المشـــار عليه لتحديد عناصـــر الدلالة، ومن هنا، فإنَّ الدلالة، في النظرية العقلية، هو الفكرة نفســـها، أي بقدر إدراك المحتوى الذهني نصـــل إلى الدلالة، وهذا ما يحقّق التواصـــل بين أفراد الجماعة اللغوية. وقد سمّاها بعض الدلاليين بالنظرية الفكرية؛ لأن " الكلمة تشير إلى فكرة في الذهن وأنَّ هذه الفكرة هي معنى الكلمة "[2].

3-وصـفـــها:

تنطلق هذه النظرية، حسب أحمد مختار عمر، من فكرة أنَّ لكلّ تعبير لغوي فكرة تُقابله، أو لكل معنى متميّز للتعبير اللغوي أن يملك فكرة، وهذه الفكرة يشترط فيها:

- أنْ تكون حاضرة في ذهن المتكلِّم حين يريد التكلُّم.
- يقوم المتكلِّم بالتعبير عن هذه الفكرة، مما يمكّن المستمِع من إدراكها.
- يستدعي هذا التعبير الفكرة نفسها التي في عقل المتكلّم من قبل المستمع.

ما يمكن استنتاجه من خلال تتبع أفكار هذه النظرية أنها تعتمد بالأساس على التصورات الذهنية في عقول المتكلمين وكيفية التعبير عنها بكلمات وعبارات وجمل قصد إيصالها إلى أذهان

---

[1] عبد القادر عبد الجليل.

[2] محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، ص 96.

المستمعين بقصد تحديد دلالاتها، أو ما يقصده المتكلِّم بكلامه وعباراته، سواء اعتبرنا دلالة التعبير هو الفكرة نفسها أو الصورة الذهنية، أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة.

4-نقـــدها:

ما تُـؤاخَـذ عليه هـذه النظرية، من وجهة النظر السلوكية، أنَّ المتكلِّم، وفق تصورها، يمتلك الدلالة مادام يمتلك الفكرة، فهو ينقل الفكرة فينقل الدلالة إلى ذهن المســـتمع، وهذا أمر في غاية الغرابة والصعوبة؛ لأنه المستمع لا يستطيع أن يتبيَّن الفكرة التي في ذهن المتكلِّم ومنه لا يستطيع أن يصل إلى الدلالة.

ويردُّ مؤيِّــدو النظرية على ادّعاء السلوكيين بأنَّ الأفكار لصيقة بالتصوّرات، وهي مشتركة بين المتكلِّم والمســتمع، فإذا قال المتكلِّم ســبورة، فتصــوَّرها هو وكذلك المســتمع. وهذا ما يحقِّق التواصل بينهما بشكل طبيعي.

ويضيف السلوكيون نقدا آخر للنظرية، حين يعتبرون أن هـناك الكثير من الكلمات لا يمكن إيجاد تصوّر لها مثل الحروف والكلمات المجرّدة. فتصورها الوحيد هو أصوات الكلمة نفسها.

وما دام أن النظرية التصويرية تعتبر أن المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإن عالم الأشياء غير متجانس، كما أن التصورات متباينة من فرد لآخر، فتصور " شجرة " مثلاً، يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافاً قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء، كما أن هناك كلمات لا تحمل تصوراً باعتبارها لا تنتمي لعالم الأشياء كالأدوات والحروف وما إلى ذلك. " وقد كان رفض النظرية التصورية، للمآخذ التي ذكرنا، وغيرها، هو المنطلق لمعظم المناهج الحديثة التي ظهرت خلال هذا القرن ". وهو ما سيتبلور في نظريات أكثر موضوعية وعلمية[1].

[1] منقور عبد الجليل، مرجع سابق.

بيد أنّ الكثير من المهتمين بالدرس الدلالي، يرون أنّ نظرية الفكرة لا يمكنها أن تعرض بشكل جليّ وواضح، بعيدا عن الغموض الكيفية التي يتم بها اتحاد عاملي الفكر واللغة لإنتاج الدلالة، وكذلك كشف بيانات الارتباط بين عبارات اللغة، والأفكار، التي تدور في الفلك العام للعقل البشري، مع عموم التصديق أنّ العبارات تكتسب دلالة بيّنة إذا ارتبطت بفكرة معيّنة.

المشكلة التي تواجه متبنّي هذه النظرية، تقوم على معرفة طبيعة الأشكال اللغوية، التي تمارَس في ظلالها الصور الذهنية، غير المرئية.

هذا المسار يقودنا إلى آخر، يقول لا توجد صورة فكرية، ترتبط بأخرى تحمل معايير القيم القياسية في، مثلا مورفيمات الربط القواعدية (السوابق واللواحق) وسواها.

وفي سياق هذا الطرح، عرض أصحاب النظرية للخروج من هذا المنحدر، طريقة الأفكار المركَّبة، التي تسهم في فكّ عوامل الارتباط وتتيح انسيابية، في عمل المرسلة اللغوية، وجلاء الدلائل.

في الواقع أن المرسلة اللسانية، عندما تبدأ عملها في فضاء المنشئ والمتلقي، فإنما هو في حدود الفهم والإفهام، التي تخضع إلى العامل النسبي، أثناء تقييم العملية التواصلية، أعني النسبية في المقاصد، والأحكام والفهم والأغراض والأهداف والرغبات. وكل هذا يجري على وفق قوانين صوتية فونولوجية معيارية، في إطار المنظومة اللغوية والفكرية، على اعتبار أن إرادات القول ترتبط بشكل وثيق بالأفكار، والمفاهيم المطروحة.

ويرى جون لايونز أنَّ معنى التعبير هو الفكرة، أو المفهوم المرتبط بذلك التعبير، في ذهن أي شخص، يعرف هذا التعبير[1].

[1] عبد القادر عبد الجليل. مرجع سابق.

الدرس العاشر: نظريات دراسة المعنى 2 (السلوكية)

تركِّز النظرية السلوكية على الجانب العملي للغة، وتهتم بما يمكن ملاحظته وقياسه، وتهمل كل ما تعلَّق بالذهن والعقل والاستبطان والفكرة والتصور. وقد انطلقت في دراستها من نقدها اللاذع للنظرية التصـــورية العقلية وبالموازاة مع هيمنة النزعة التجريبية على البحوث والدراســـات مقابل النزعة التجريدية.

1-أصولـهـا:

لقد سـيطرت السـلوكيون على الدراسـات النفسـية في الولايات المتحدة الأمريكية لفترة زمنية طويلة، وتركت أثرها في مختلف العلوم ومنها اللسـانيات من خلال المدرسـة التوزيعية وعلم الدلالة من خلال النظرية السلوكية لصاحبها بلومفيلد. يرى المنتمون إليها أنَّ السلوك البشري يمكن وصفه بطريقة دقيقة وتامة اعتمادا على الظواهر الفسـيولوجية وكل شـيء قابل للملاحظة. ويرفضـون أي دراسـة لا تتبع هذا الطريق ولا تنتهج هذا المنهج. وانسـحب هذا على اللغة باعتبارها ظاهرة بشـرية فيصدق عليها ما يصدق على " الظواهر البشرية الأخرى ".

2-أسـسـهـا:

تقوم السلوكية بوجه عام على جملة أسس منها[1]:

- لا تقبل السـلوكية اسـتعمال مصـطلحات تشـير إلى الذهن، العقل، التصـوّر، الفكرة، وغيرها وترفض الاستبطان باعتباره وسيلة للحصول على مادة ذات قيمة في علم النَّفس. لذا ينغي على الدارس أن يهتم بالملاحظات المباشرة والسلوكات الظاهرة وليس بما يحدث في الذهن.
- تهتم السـلوكية بالتعلم انطلاقا من البيئة الخارجية فهي المؤثر الوحيد في سـلوكات الأفراد، واستعباد الجانب الوراثي أو التقليل من دوره.
- نظرية آلية ميكانيكية ترى أنّ كلّ شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

[1] أحمد مختار عمر.

- تعتمد على ثنائية المثير والاستجابة، فكل ما يقوم به الأفراد من سلوكات هي استجابات لمثيرات خارجية من البيئة.

ك= م ⟵ س

وبناء، فإن فهمنا لسلسلة الحدث الكلامي يتمثَّل في التصور البياني التالي:

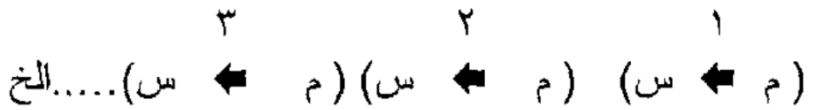

وهنا كلّ سلوك يحتوي على مثير، واستجابة، يقود إلى التالي، وهكذا في عملية دائرية.

وسبب اشتهار بلومفيلد، على الرغم من أسبقية علماء آخرين مثل واطسن ثم وايس، لكن بلوفيلد كان الأكثر تأثيرا في تطوّر الدراسة العلمية للغة في النصف الأول من هذا القرن. وهو أكثر من غيره – المسئول عن تقديم النظرية السلوكية إلى الدرسين اللساني والدلالي.

3-وصفها:

وُجِدَ عِنْد بلومفيد، في بحوثه الأولى، ميولات إلى الدراسات العقلية، ولكن ابتداء من 1926 هَجر بلومفيلد فجأة هذا الاتجاه، ومال نحو أفكار وايس السلوكية. ونتيجة لهذا الوعي الجديد أكَّد أنَّ **الدلالة** هي مثيرات وردود عليها أو استجابات قابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات وعرّف دلالة العبارة اللغوية بأنها: الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من المستمع. فعن طريق نطق عبارة لغوية يثير المتكلم مستمعه من أجل الاستجابة المباشرة. هذا الموقف، وتلك الاستجابة هما الدلالة اللغوية للعبارة.

إنَّ البحث عن ماهية الدلالة وآلية حصولها أدّى بالعالم اللغوي الأمريكي (بلومفيلد) إلى **هجر الاتجاه العقلي** والبحث عن الدلالة في **السلوك اللغوي الظاهر**، وبعد تحقّق الأفكار التي مال إليها (بلومفيلد) تجلّى الاتجاه السلوكي لدى هذا العالم وقد عرّف دلالة العبارة اللغوية بأنَّه عبارة

عن موقـــف يقوم فيه المتكلِّم باختيار هذه العبارة من أجل أن يثير مستمعا معيَّنا، فيستجيب له بعبارة أخرى مناسبة للعبارة الأولى. وباجتماع المثير والاستجابة تتحقَّق دلالة هذه العبارة اللغوية. وإن تطبيق هذه الثنائية يستدعي النظر في المقامات التي تصاحب العبارة اللغوية، ومعرفة كلية لعالم المتكلم[1].

وقد قبل بلومفيلد اتجاهين عامين في مذهبه السلوكي:

- رفض المصطلحات العقلية.
- الإيمان بالحتمية المرتبطة بالوضعية والفيزيقية.

والمثال الذي ضربه بلومفيلد للحدث الكلامي كان كما يأتي:

قصة جاك وجيل:

يسير جاك مع جيل بجانب حديقة فيها أشجار التفاح، تشعر جيل بالجوع عندما ترى التفاح، فتطلب من جاك أن يحضرها لها، يستجيب لها بأن يتسوَّر السور ويتسلَّق الشجرة ويناولها التفاحة، فتأكلها جيل فورا.

يحلِّل بلومفيلد القصة تحليلا سلوكيا، فيتحدَّث عن المثيرات والاستجابات التي صاحبتها

- رؤية جيل للتفاحة وهي جائعة يحدث لها إثارة بصرية (م).
- يقوم جاك بالاستجابة لها استجابة بديلة عن استجابتها هي بعبارة لغوية (س).
- عبارة جاك هي استجابة ثانية بديلة لمثير هو عبارة جيل (م)
- عبارة جاك سأحضر التفاحة هي مثير لاستجابة جيل بتناولها[2].

[1] ينظر منقور عبد الجليل. مرجع سابق.

[2] ينظر أحمد مختار عمر. مرجع سابق.

4-نـــقـدهـا:

هناك جملة مآخذ على النظرية السلوكية، نذكر منها:

1- لا يمكن تعميم قصـــــة جاك وجيل على جميع الحوارات التي يمكن أن ترد في لغة من اللغات وتحليلها وفق التحليل الســـلوكي الذي قام به بلومفيلد. فالمشـــاعر مثلا لا يمكن ملاحظتها وتحليلها تحليلا فيزيقيا بخلاف الجوع.

2- كذلك، لا يمكن توقُّع الاسـتجابات، على خلاف ما ذكره بلومفيلد في مثاله السـابق، فهي مجرّد افتراضـــات قد تحدث وقد لا تحدث، وقد تحدث اســتجابات أخرى مخالفة تماما وغير متوقَّعة، لذلك تعتبر النظرية الســـلوكية الإنســـان عبارة عن حيوان أو آلة تتلقى الاســـتثارات فتحدث الاستجابات المطلوبة.

الدرس الحادي عشر: نظريات دراسة المعنى 3 (السياقية)

من المتعارف عليه أن الدرس اللساني الحديث، شهد ظهور مدارس ونظريات عدة، تناولت مسألة العلامة اللسانية وغير اللسانية في علاقتها بالمراجع من جهة، وفي علاقتها بالدلالة من جهة أخرى. ومن هذه المدارس نجد المدرسة السياقية أو مدرسة فيرث (Firth) كما يسمّيها البعض. وهي التي قامت بنقد النظريات السابقة والمعاصرة لها في تحديد المعنى، وخاصة مدارس الاتجاه البنيوي، وذلك لاستبعادهم للمعطيات الخارجة عن اللغة.

أولا: التعريف بالسياق:

يعرَّف السّياقُ، حسب عبد الرحمن بودرع، بأنَّه إطارٌ عامٌّ تنتظمُ فيه عناصِرُ النّصّ ووحداتُه اللّغويّةُ، وهو عبارة عن مقياس تتّصــلُ بوســاطتِه الجُمَلُ فيما بينها وتترابطُ وتتراكب، وبيئةٌ لغويّةٌ وتَداوليّةٌ تَرْعى مجموعَ العناصرِ المعرفيّةِ التي يُقدِّمها النّصُّ للقارئِ.

وكثيرًا ما يردُ الشَّــبَه بين الجُمَلِ والعِباراتِ مع بعضِ الفوارِقِ التي تميزُ بينَها، ولا نســتَطيعُ تفسـيرَ تلك الفوارقِ إلاّ بالرُّجوعِ إلى السّـياقِ اللّغويّ، ولَحْظِ الفَوارقِ الدّقيقةِ التي طرأت بين الجُملِ. فكلُّ مَساقٍ للألفاظِ يجرُّ ضرْبًا من المَعنى بجزئيّاتِه وتَفاصيلِه.

والسّــياقُ الصّــورةُ الكلّيّةُ التي تَنتظِمُ الصُّــورَ الجزئيّةَ، ولا يُفهمُ كلُّ جزءٍ إلاّ في موقعِه من «الكُلّ»، وقد أثبتَ العلمُ أنّ الصورةَ الكُلّيّةَ تَتكَوّنُ من مَجموعةٍ كَبيرةٍ منَ النّقاطِ الصّغيرةِ، المُتشابِهةِ أو المُتباينةِ، تدخُلُ كلُّها في تَركيبِ الصّورةِ .

ثانيا: التعريف بالنّظرية السّياقية:

إنّ فكرة العناية بالسّياق (إمّا مراعاة لحال المتكلّم، أو لحال المخاطب، أو للموقف الكلامي بكامله)، كانت محلّ عناية اللّغويين، والبلاغيين العرب القدامى، وهي عند المفسّرين والأصوليين على قدر كبير من الأهميّة؛ لكونه أكثر وسيلة مهمّة من وسائل الكشف عن المعنى المراد من

النّصوص الشّرعيّة وأحكامها. فتناوله الفقهاء في كتب الأصول والأحكام، وعرض له البلاغيون في كتب الإعجاز وبديع القرآن... إلخ.[1]

وفكرة السّياق عند الغربيين، أيضا، لم تكن جديدة تماما، إنّما كانت استمرارا لجهود الدّرس اللّغوي، «ولعلّ من الإنصاف القول بأنّ هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتّطبيق على جميع أنواع المعنى، من صوتيّة، صرفيّة، نحويّة، واجتماعيّة. ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النّظريات التي تتناول المعنى بالتّحليل والتّفسير»،[2] وهي من المساهمات الحقيقيّة للغويين الإنجليز في مجال الدّراسات اللّغويّة بعامة، والدّرس الدلالي على وجه الخصوص.

ثالثا: النظرية السياقية عند فيرث

ارتبطت النظرية السياقية باللساني البريطاني جون روبرت فيرث J.R.Firth(ت1960م)، التي أقامها على عمل وتفكير الأنثروبولوجيين، خاصة على تفكير مالينوفسكي Malinowski[3]، كما يصرّح هو بنفسه. تقوم هذه النظرية على النّظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق، ولهذا يصرح فيرث «بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة».[4]

وفرّق فيرث في نظريته بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى، وهي[5]:

---

[1] ينظر: عبد النّعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص236،195،163،111. وردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطّلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1418هـ، 1/62-82.

[2] ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطّلحي، دلالة السياق، ص137.

[3] ينظر: روبينز-هـــ، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1988م، ص350،349. وصلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم ناشـــرون، ط1، الجزائر،2008م، ص380.

[4] أيمن علي عبد اللطيف، عبقرية النثر العربي، ص184.

[5] ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م، ص28. ومدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م، ص78-82.

- الوظيفة الفونولوجية الصوتية
- الوظيفة الصرفية
- الوظيفة المعجمية
- الوظيفة التركيبية النحوية
- الوظيفة الدلالية

وتتحدد كل وظيفة من هذه الوظائف في إطار ما يعرف بمنهج الإبدال، ولا تظهر دلالة الوحدة اللسانية على أي مستوى من المستويات السابقة، إلا بتميّزه السّياقي أمام الوحدات الأخرى أن يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق، فإذا لم يكن ثمة بديل سياقي ممكن لذلك الوحدة فلن تكون لها دلالة[1].

كما وضع فيرث أركانا ثلاثة يقوم عليها منهجه في دراسة اللغة، وهي:

* **الركن الأوّل** الذي يقوم عليه تحليل المعنى عند فيرث هو سياق الحال،[2] أو المقام مع ملاحظة كل ما يتصل به من عناصر وظروف ومناسبات، كشخصية المتكلم والسامع، وثقافتهم، وكل العوامل المرتبطة بالسلوك اللغوي وقت الكلام، وتأثير الكلام على السامعين.

* **الركن الثاني** هو تحديد البيئة اللغوية للكلام، وعدم الخلط بين اللغات أو اللهجات، أو بين المستويات الثقافية والمستويات الاجتماعية، فيجب أن تكون اللغة مقتصرة على مستوى ثقافي واحد، ومستوى كلامي واحد.

---

[1] ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص28،29.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م، ص40.

* **الركن الثالث** وهو تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى، باستخدام معطيات فروع علم اللغة المختلفة، من صرف، نحو، أصوات، ومعجم، وهذا في اعتبارهم يؤدي إلى كشف جزء من المعنى، ولكن الدلالة الكاملة لا تتّضح إلا من خلال السياق أو المقام.[1]

وانطلاقا من هذه الأركان التي رسمها فيرث لنظريته، يمكن القول:

– إنّ الكلمة المعجمية ذات معنى محايد لا يجاوز الصورة التي يشير إليها مجموع أصوات الحروف، وهذا المعنى المحايد هو معنى شكلي.

– إنّ السياق هو الناظم الذي يعطي للكلمة في ارتباطها بما قبلها، وما بعدها معناها المقصود، أي معناها السياقي.

– إنّ السياق ليس سياقا واحدا، إنما هو شبكة علاقات بين عدة سياقات جزئية، تنتج السياق الكلي:

- السياق اللغوي
- السياق الثقافي
- السياق العاطفي
- سياق المناسبة (وهو ما يطلق عليه البنيويون قاعدة المناسبة، وهو أقرب إلى قول القدماء "لكل مقام مقال"، فالمقام أو سياق المقام هو المناسبة السياقية التي تقتضي قولا بعينه، دون غيره من الأقوال).[2]

1-**السياق اللغوي:** يمكن تعريفه بأنه المحيط اللغوي الذي تقع فيه الكلمةُ موضعُ التحليل؛ أي الكلمات التي تكتنف المفردة التي تحتمل دلالتها أكثر من معنى؛ ذلك أنَّنا في واقع الأمر لا

---

[1] ينظر: محمد محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص184. وعبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص278.

[2] طه جابر العلواني، السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، مقال، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2007م، ص50،51.

نحتاج إلى الاستعانة بالسياق إلاَّ في الكلمات التي تحتمل أكثر من دلالة، أو بالأحرى في المشترك اللفظي، ويمكن التمثيل لذلك بالفعل قصَّ كما في الجمل الآتية:

- قصَّ الخيَّاط الثوب.
- قصَّ الراعي الأثر.
- قصَّ الأديب الرواية.
- حيث تتحدد إحدى الدلالات المعجمية التي يحتمله الفعل وهي: القطع، التتبع والاقتفاء، السرد من خلال إحدى الكلمات التي تسبق أو تتلو الكلمة، وهي هنا الفاعل الذي أسند إليه هذا الفعل.

ونمثل لذلك بلفظ العين من خلال الجمل الآتية:

- تجب الزكاة في كلِّ عين.
- نشرب الماء من العين.
- أرسل القائد عينه إلى معسكر العدو.
- أصابت فلانا عين حاسد.
- أجرى المريض عملية جراحية لعينه.

حيث توجه الكلمات المجاورة في كل سياق لفظ العين إلى إحدى دلالاته المعجمية، ولا شيء غير الجوار اللغوي يمكن أن يحدد الدلالة في هذه النصوص ومثيلاتها.

2- **السياق غير اللغوي:** وهو أنواع منها:

أ/ سـياق الموقف: هو الوضــع العام الذي يُؤدَّى فيه الحدث الكلامي مكانا وزمانا وظروفا؛ حيث يوجِّه هذا الوضـع دلالةَ المنطوق إلى معنى قد لا يكون من دلالته المعجمية أو التركيبية، وإنما هو أقرب إلى تواضع جديد يفرضه السياق، وهذه أمثلة على ذلك:

- عبارة " شكرا" تقولها ممتنًّا لمن أسدى إليك معروفا على أصل التواضع والاستعمال.
- وتقولها لمتحدِّثٍ أطنب في الكلام، وقد قصدت توقيفه بأدب.
- ويقولها متحدث إعلانا منه على أنَّه فرغ من كلامه.

فهي تأخذ دلالتها من سياقها وهو سياق متغير.

وعبارة «ربِّي يسهَّل" تقولها قاصدا الدعاء بالتسهيل، وتقولها لمتسوِّل ألحَّ في السؤال وتكون ضمنتها معنى: " دعني" ولكن بلطف.

وعبارة " ربي يهديك" تقولها لمن تحب له الخير قاصدا طلب الهداية.

وتقولها لمن قال هُجرا من الكلام وقصــدك به، وقد حملت العبارة معنى أنِّي لا أنزل بمسـتواي إلى مستواك، من باب التوبيخ والتقريع.

ب/ السياق العاطفي:

يتحدد معنى الســـياق العاطفي من حدَّي العاطفة وهما منتهى الحُب ، ومنتهى الكره حيث يعكس اختيار المتحدث إحدى المرادفات درجة الانفعال العاطفي المصـاحبة للأداء الكلامي، فبين مفردات الحبِّ مثلا ؛ حيث المعنى في "أريد" غيره في "أشـتهى" ، وهو في " أعشـق " غيره في " أهيم"...، وكذلك الدلالة في "أكره" غيرها في "أبغِض" وهي في "أمقُت" غيرها في أختيها الســـابقتين ، وكل اختيار يعكس مســـتوى من الانفعال العاطفي ، كما أنَّ دلالة الفعل " أحبُّ" مقصـــودا به الذات الإلهية غيره مقصـــودا به الوالدين ، غيره بين الرجل والمرأة ، وكذا فعل الكره معنيا به الأشـــخاص

غيره وهو معني به الأشياء وهذه الدلالات كلها تحملها العبارة الواحدة وتوجهها السياقات العاطفية المختلفة.

ج/ السياق الثقافي: وممَّا يسهم في توجيه الدلالة كذلك السياق الثقافيُّ، وهو مرتبط بثقافة مستعمل اللغة؛ كالمهنة، والطبقة الاجتماعية، ودرجة التحضـــر أو البداوة، وغير ذلك ممّا يَسِـــمُ المتكلم بخصـــوصـــية ذات أثر على الاختيارات اللغوية المتاحة و، ومثال ذلك لفظ " الجذر" نسـمعها من أستاذ الرياضيات أو أستاذ اللغة أو نسمعها من عالم النبات، وفي كلِّ مرة تأخذ معنى غير المعنى الأول.

أو لفظ «الخطِّ " نسمعها من طالب أو أستاذ، ونسمعها من مسؤول في مديرية الهاتف، أو نسمعها من مسؤول في مديرية النقل؛ وفي كلِّ سياق لها معنى.

- إنّ المعنى الشكلي والمعنى السياقي لا ينفصلان انفصالا قطعيا، بل يحددان معا مفهوم السياق، بوصفه تعبيرا عن نوعين من العلاقة هما:

1-العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى.

2-العلاقة بين النص والموقف الذي يتجلى فيه.

ومن اللسانيين الذين نادوا في دراساتهم للدلالة اللغوية، إلى ربط الكلمات بسياقاتها نجد شايز(Chase)، الذي يقول في هذا السياق: «إن الدلالة الحقيقية للكلمة ما يجب أن توجد ضمن ملاحظة ما يمكن أن يصنعه الإنسان بهذه الكلمة»،[1] وتأتي علاقة السياق بالمعنى، من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقة إلا بمعرفة سياقها الذي وردت فيه، وفي هذا يقول بيير جيرو: «إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها».[2]

---

[1] الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، ص203.

[2] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2000م، ص39. نقلا عن/ بيير جيرو، السيمياء، سلسلة زدني علما، ط1، 1984م، ص39.

ولأن اللغة بنت بيئتها، فهي أهم مظهر سلوكي، وعقلي يعكس إنسانية الإنسان في هذا الكون، وما كان ذلك إلا لأن ممارسة الحدث اللساني في الواقع، لا تعدو أن تكون تجسيدا للجانب العملي للقدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان، والتي من خلالها يحقق نزعته الاجتماعية، لأن الإنسان بطبعه ميّال إلى التواصل مع أفراد مجتمعه، من حيث إنه كائن اجتماعي.[1] ولأن الكلمة –كما سبق القول– تحمل دلالة اجتماعية، فالمعاني أيضا هي خلاصة تجارب وخبرات الأفراد، مما يؤكد على دور السياق. يقول بالمر: «من السّهل أن نسخر –كما يفعل بعض الباحثين– من النّظريات السّياقية، وأن نستبعدها باعتبارها غير عملية أساسا، لكن من الصعب أن نرى كيف نستبعدها دون إنكار الحقيقة الواضحة القائلة: إن معاني الكلمات* والجمل مرتبطة بعالم الخبرة».[2]

خامسا: ديناميكية السياق

يرى فان دايك أن الخاصية الأساسية الأولى لبناء السياق هي " الميزة الديناميكية المحرِّكة"[3]، وهذا ما يتفق مع توجُّه هاليداي (Halliday) وتوماسيللو وأودونيل. أما **ميشيل أودونيل (Michael O'Donnel)** فقد ميّز بين نوعين من السياق هما **السياق الديناميكي أو المتغيّر**؛ إذ يتغيَّر في السياق في أثناء عملية التواصل، **والسياق الثابت** الذي لا يتغيّر في التواصل، ونادى بضرورة **دراسة السياق المتغيّر**، فجميع العناصر التي ذكرها **هاليداي** ووصفها بأنها من محددات المعنى: **الحقل، التوجهات، والنمط** تكون عرضة للتغيير، فقد يبدأ الكاتب بطريقة رسمية (Formal) وبالتدريج ينتقل إلى استعمال صياغة غير رسمية، حتى إن المحادثات يمكن أن تبدأ بالكلام وتنتقل إلى استعمال الكتابة[4].

---

[1] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات– ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م، ص68.

[2] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، القاهرة، 1997م، ص110.

[3] فان دايك، مرجع سابق، ص 258.

[4] عرفات فيصل المنّاع، مرجع سابق، ص 38–39. مأخوذ من: (O'Donnel.M.(1999 :46–66

وأما هاليداي فقد نص على ديناميكية السياق بقوله: " **إذا كان بإمكاننا أن نغيّر مستوى الرسمية في كلامنا أو كتابتنا، أو أن ننتقل بحرية من نمط سياقي معيّن إلى نمط آخر، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظّم، وتارة لإلقاء محاضرة عامة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد؛ فلأن طبيعة اللغة على شاكلة، بحيث إنَّ جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقتها الاستيعابية الكليَّة**"[1].

واقترح أن يفسر النوع المعين من المواقف كتركيب سيميائي (Semiotic Stucture) بحيث يمكننا أن نشير إليه على أنه كيان ذو ثلاثة أبعاد: **النشاط الاجتماعي المستمر، علاقات الأدوار، الطريقة الرمزية أو البلاغية**[2]. وتعد هذه الأبعاد الثلاثة الإطار الفهمي الذي يمثل السياق الاجتماعي كبيئة سيميائية؛ إذ من خلالها يمكن للأشخاص أن يتبادلوا المعاني[3].

وأما **فان دايك** فقد اعتبر الألفاظ متحرّكة بإزاء الأحوال مكوّنة ما عُرِف عند مالينوفسكي **بسياق الحال**، فليس السياق، كما يقول **فان دايك**، " مجرّد حالة لفظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ ". نتتبعها من خلال اتجاه مجرى ما تنجم عنها من أحداث في الزمان والمكان المعيَّنيْن.

يقسم فان دايك السياق قسمين من حيث علاقته بالواقع؛ **سياق ممكن (بصيغة الجمع)، وسياق فعلي أو واقعي** لها ارتباطات بأوضاع مخصوصة ومقيَّد بمعطيات لسانية وغير لسانية، قد تكون متعارضة فيما بينها في الإحالة إلى المعنى المقصود، وهنا أكّد **ميشيل توماسيللو (Michael Tomasello)** على ضرورة الانتباه إلى ما يقصده المتكلِّم وما يضعه من **موجِّهات** ترجِّح كفة عنصر من عناصره على الأخرى، فقد نختار سياقا ما من بين مجموع السياقات المتاحة أمامنا، ونبدأ بتوجيه انتباه المخاطَب، فيكون ذلك السياق هو العنصر المشترك بين المتكلِّم ومخاطَبه أو مخاطَبيه.

---

[1] يحيى احمد، مرجع سابق، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 33-34.

[3] المرجع نفسه، ص 34. مأخوذ من: Gregoy.M and Carroll.S(1978 :87-88)

الدرس الثاني عشر: الحقول الدلالية في التراث العربي

قبل أن نعرض لمفهوم الحقل الدلالي ولنظرية الحقول الدلالية الغربية الحديثة ينبغي الإشارة إلى جذور هذه النظرية في تراثنا العربي حيث يذكر أحد الباحثين العرب أنَّ " هناك حقيقة نريد التأكيد عليها هي أن نظرية المجالات الدلالية... إنما هي ذات أصـــول عربية، ويظهر ذلك في المنهج الذي اتبعه أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات في جميع ألفاظ اللغة التي تندرج تحت معنى واحد "[1]. ولو تتبعنا فعلا نشأة الرسائل اللغوية والفكرة التي طبقوها فيها، ثم انتقلت إلى معاجم الموضــوعات لوجدنا أن العرب قد طبقوا نظرية الحقول الدلالية. ولذلك نتســاءل هل عرف علماء العربية القدامى نظرية الحقول الدلالية ونظّروا لها؟ وهل طبقوها؟

1-جذور نظرية الحقول الدلالية

بالنسـبة للتطبيق، فقد رأينا ممارسـات علماء اللغة وغيرهم في إرسـاء معالم الحقول الدلالية بنفس المفهوم الموجود في نظرية الحقول الدلالية الحديثة. إلا أن وجودها باعتبارها نظرية متكاملة فهذا لا نستطيع الجزم به. هناك تطبيقات في النحو وفقه اللغة نذكر بعضـها: ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي في تفسـيراته الدلالية بتبويب الحروف ثم شـرحها، فيقول مثلا: باب الفاءات، باب اللامات[2]. وســار على نهجه تلميذه ســيبويه (ت 180) في تقســيم مواده إلى أبواب، وإشــارته للعلاقات الدلالية مثل الترادف والاشتراك والتضاد.

2-تطبيقاتها:

1.1 الرسائل اللغوية:

نشير إلى دور الرسائل اللغوية في إرساء دعائم نظرية الحقول الدلالية؛ فهي أساس المعجم اللغوي العربي، فقد قام اللغويون بجمع العربية من أفواه العرب الأقحاح في المناطق التي لم تتصل بالأمم الأخرى، منذ نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعا للكلمات

[1] محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص 315.

[2] ينظر: الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.

المتصلة بموضوع واحد لا تكاد تتعداه جمع سماع، فشكّلت بذلك نواة نظرية الحقل الدلالي. فجمعوا الموضوع الواحد في رسائل. ويسمى هذا الصنف من المؤلفات المعاجم الموضوعية المتخصصة، وهي معاجم تختص في موضوع واحد، أو مادة علمية واحدة، وهي تنتمي إلى معاجم المعاني، بدل معاجم الألفاظ، لأنها تقوم على فكرة الحقل الدلالي. وهكذا تقسم المفردات بحسب الفصول والأبواب. ولعل أشهر اللغويين الذين كتبوا في هذا المجال الكسائي (ت (189)، والقراء (ت 207)، وأبو زيد الأنصاري (ت 215)، والأصمعي (ت 216) وغيرهم، وقد جمعت نصوص هذه المؤلفات في مدونة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224) في كتابه " الغريب المصنف". ونذكر من هذه الرسائل ما ألّفه الأصمعي (ت (216): الإبل، الخيل، الشاء، الوحوش، الفرق، خلق الإنسان النبات، والشجر، وتوجد رسائل أخرى في المطر، والنخل، والكرم، واللبن وغيرها.

ومن الموضوعات كذلك[1]:

- كتاب الذباب لابن الأعرابي.
- كتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني، وللأصمعي، ولأبي حاتم السجستاني.
- كتاب البئر لابن الأعرابي.
- كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي، ولأبي حاتم السجستاني.
- كتاب الحيات والعقارب لأبي عبيدة.

1.2 معاجم المعاني:

يمكن أن نشير في هذا العنصر إلى الشبه الكبير بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة في اللغة العربية؛ فهما يعتمدان على تقسيم الأشياء إلى موضوعات، حيث تعالج الكلمات تحتها، وقد سبقهما تأليف جزئي فيما عرف بالرسائل اللغوية.

[1] ينظر حسين نصار: المعجم العربي، ص 123 وما بعدها.

وبعد الرسـائل اللغوية أُلِّفت المعاجم الموضـوعية العامة، وهي معاجم تتناول المفردات التي يتألف منها متن اللغة مرتبة حسب موضوعاتها العامة، وهذا يتطلب تصنيفا شاملا للكون والمفاهيم المختلفة. يختلف معجم المعاني عن معجم الألفاظ في طريقة ترتيبه، فهو " الذي يرتب ألفاظه على معانيها وموضـوعاتها، وذلك بوضـع الألفاظ التي تدور في فلك واحد، وحول موضـوع واحد، في كتب أو أبواب أو فصـــول واحدة "[1]. من أهم معاجم المعاني: الغريب المصـــنَّف لأبي عبيد القاسـم بن سـلام، المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل، الألفاظ الكتابية لأبي الحسـن عبد الرحمن الهمذاني، متخيّر الألفاظ لابن فارس، فقه اللغو وسـر العربية للثعالبي، المخصَّـص لابن سيده.

1.3 نقد معاجم المعاني:

على الرغم من إيجابيات الرســائل اللغوية ومعاجم المعاني والموضــوعات إلا أنه اعترتها نقائص وعيوب يمكن أن نجملها فيما يلي:

- قصورها الواضح في حصر المفردات حتى بالنسبة للمعاجم المتأخرة منها.
- نقص اهتمامها بتبيان العلاقات بين الكلمات في داخل الموضـــوع الواحد، وذكر أوجه الخلاف والشبه بينها.
- ضعف المنطق المتبع في تصنيف الموضوعات وتبويبها.
- عدم وضوح المنهج المتّبع في جمع الكلمات.

3-العلاقات الدلالية:

اهتم العلماء العرب القدامى بالعلاقات الدلالية داخل اللغة العربية، مثل: الترادف، الاشتراك، والتضـاد، وهي ظواهر عامة في أي لغة، ولعلها أبينُ في العربية حتى عُدَّت من خصـائصـها، وإن

[1] صلاح الدين زرال: الظاهرة الدلالية، ص 247 248

عدنا إلى كتب فقه اللغة قديمها وحديثها وجدناها زاخرة بالعلاقات الدلالية بشـكل مفصَّـل يتناولها من حيث ظهورها وموقف العلماء منها من حيث الإثبات والإنكار وتطبيقاتها المختلفة.

1.3 الترادف:

يعرَّف الترادف لغة بأنَّه التتابع والتتالي، (ردف) يدخل ضمن دلالتها معنى التبعية والخلافة ومن ذلك الردف الراكب خلف الراكب التابع[1]. وله معنى التشابه، فترادفت الكلمات إذا تشابهت في المعنى. وفي الاصطلاح: هو ما اختلفَ لفظُه واتَّـفقَ مَعناه. أو هو الألفاظ المُفرَدة الدَّالَّـة على شيءٍ واحد باعتبار واحد.

وقد اختلف علماؤنا في إثبات أو إنكار الترادف، سنكتفي بذكرها بشكل مختصر؛ فيثبته ابن خالويه (ت 370 هـ) ويظهر رأيه من خلال تلك الرواية التي تذكر الخلاف الذي وقع بينه وبين أبي علي الفارسي حول أسماء السيف. وتعد هذه الرواية من أشهر الروايات حول الخلاف في ظاهرة الترادف في العربية، حيث يُروى أنَّ أبا علي الفارسي قال " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبحضرة جماعة من أهل اللغة ومنهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه أحْفظُ للسيف خمسين اسما فتبسَّم أبو علي الفارسي وقال: ما أحفظُ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المُهنَّد والصَّارم وكذا وكذا، فقال أبو علي هذه صِفاتٌ.

وأثبته كذلك الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط الذي ألف كتابا في الترادف أسماه (الروض المسلوف فيما له أسمان إلى ألوف). ومنهم كذلك ابن جني في باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض ودليله وقوع الترادف فقال " وجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به "[2].

[1] ينظر فريد عوض حيدر، كتاب علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، كلية دار العلوم جامعة القاهرة. مصر. 121

[2] ينظر فريد عوض حيدر، كتاب علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، كلية دار العلوم جامعة القاهرة. مصر. ص 121.

ومن المنكرين للترادف، كما سبقت الإشارة أبو علي الفارسي في القصة المشهورة، حيث اعتبر أسماء السيف صفات له. ومنهم أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي وأبو العباس أحمد بن يحي ثعلب وأبو محمد عبد الله بن جعفر درستويه. حيث يذكر ابن درستويه أنَّ ابن فارس اتّبع شيخه ثعلب، فيقول: " ويسمَّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمُهنَّد والحُسام والذي نقوله في هذا أنَّ الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات[1].

ومن المنكرين للترادف، من القدامى، أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) حيث قال: " فأمّا في لغة واحدة فمُحال أنْ يختلفَ اللَّفظ والمعنى واحد، كما ظنَّ كثيرٌ من النحويين واللغويين،...[و] الشاهد على أنَّ اختلاف العبارات والأسماء يُوجِبُ اختلاف المعاني أنَّ الاسم كلمةٌ تدل على المعنى دلالة الإشارة، وإذا أُشيرَ إلى الشيء مرَّة واحدة فإن معرفة الإشارة إليه ثانية وثالثة غير مُفيدة ويؤيد ذلك ثعلب الذي يرى أنّ ما يُظَنُّ من المترادفات هو من المُتبايِنات، كما يرى ابن فارس أنَّ كُلَّ صفة من الصفات لها معنى خاص فالأفعال (مضى، ذهب، انطلق، ليست بمعنى واحد)".

وبعد النظر في الرأيين ذكر إميل بديع يعقوب أنه من التعسف إنكار الترادف تماما. فهو ظاهرة لغوية طبيعية في كل اللغات ومنها العربية، وليس من الطبيعي أن تسمي كل القبائل العربية الشيء الواحد باسم واحد وعليه نرى أن الترادف واقع في اللغة العربية الفصحى التي كانت مشتركة بين قبائل العرب في الجاهلية وكان من الطبيعي أن نقع على بعض الكلمات في القرآن الكريم لنزوله بهذه اللغة المشتركة[2].

لذلك نخلص إلى أنَّ الترادف موجود في العربية ولو بشكل جزئي نستطيع أن نسمّيه تقاربا دلاليا، وهو ما عرف بالفروق في المعاني بين الألفاظ، من الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب فقه اللغة للثعالبي: فهو يرى أنَّ هُزال الرَّجُل على مراحل، فالرجل هَزيل ثمّ أَعجف ثمّ ضامِر ثم ناحِل.

[1] ينظر إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ص177.

[2] ينظر إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ص175.

والهلعُ أشدُّ على النفس من الفزع، والبث أشدُّ من الحزن، والنَّصَبُ أشدُّ من التعب والحَسرة أشدّ من الندامة. وهكذا...

2.3 المشترك اللفظي:

وهو خلاف الترادف؛ فهو **ما اتَّفق لفظُه واختلفَ مَعناه**. أو هو " **اتِّفاق اللفظين واختلاف المعنيين** "[1]. وقد سار مسيرة الترادف فأنكر وجوده، تقريبا، من قبل ابن درستويه، وأثبت وجوده، بشكل مبالغ فيه، ابن فارس وابن خالويه، واعتدل في رأيه بعض علماء العربية فلم ينكر ولم يغالي في الإثبات، فقال ببعض المشترك اللفظي في اللغة؛ إذ أن ذلك لا ينافي المنطق بل إنَّه قد يكون ظاهرة لغوية في كل اللغات ومنها العربية.

ومن المؤلفات في المشترك اللفظي: (الأشباه والنظائر)، أو (الوجوه والنظائر)، أو (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) للمبرِّد. و(المنجد في اللغة) لكراع النمل (ت310هـ).

ومن أمثلته[2] في العربية كلمة(يد):

- طويل اليد (سمح جواد أو سارق).
- يد الفأس.
- يد الطائر (جناحه)
- كسرت يد فلان.
- يد الرجل (قومه أو أنصاره)

ومن الأمثلة كذلك كلمة (عين):

- العين: النقد.

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب، ج/1، ص 7.

[2] ينظر أحمد مختار عمر، ص153.

- عين القوم: ربيئتهم الناظر لهم.
- عين كل شيء: خياره.
- العين: مطر يدوم خمسة أيام لا يقلع.
- عين الرجل: شاهده.
- العين: عين الشمس.
- العين: نفس الشيء.
- العين: عين الماء.

3.3 الأضداد:

يُعـرَّف التضاد بأنَّـه مشـتـرك لـفظي خاص، فهـو اسـتخـدام للفظ الواحد في معنيين متضـادين. فيصـل فيه اختلاف المعنى الواحد للفظ الواحد إلى درجة الضـدّية. وقد أنكره ابن درستويه (ت 347هـ) بوضـعه كتابا في إبطال الأضـداد، كما فعل بالنسـبة للمشـترك. والجواليقي. وإنكارهم له ناتج عن أن وجوده ينافي الحكمة، وواضـع اللغة لا بد أنه كان حكيما. وأثبته علماء كثر منهم: ابن الانباري، وابن فارس، الذي قال " وأنكرَ ناس هذا المذهب، وأنَّ العرب تأتي باسـم واحد للشيء وضدِّه"[1]. من أشهر المؤلفات في الأضداد:

- الأضداد للأصمعي (ت 216 هـ).
- الأضداد لابن السكِّيت (ت 244 هـ).
- الأضداد لابن الانباري (ت 328هـ).

[1] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 98.

الدرس الثالث عشر: نظرية الحقول الدلالية

تبنى هذه النظرية على المفهوم الحقلي، وهو المفهوم الذي يندرج تحته مجموعة من العناصر التي تربطها علاقة ما، لأن المفهوم قاعدة تصنيفية، تصنف من خلالها أشياء الكون وعناصره وفق قواعد معينة[1].

أولا: مفهوم الحقل الدلالي

يعرّف ستيفن أولمان الحقل الدلالي بقوله: **هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يُعبِّر عن مجال معيَّن من الخبرة**، ويعرِّفه جون لاينز Lyons بقوله: **مجموعة جزئية لمفردات اللغة.** فيكون الحقل الدلالي معبِّرا عن جزء من مفردات لغة ما، من خلال الترابطات الدلالية الموجودة بينها وهو ما يعرف بالعلاقات الدلالية، فلا يمكن فهم معنى كلمة ما، حسب نظرية الحقول الدلالية، إلا بفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، أو كما يقول لاينز: يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي. ولهذا يعرف لاينز معنى الكلمة بأنّه **محصِّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي**[2]. وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها باللفظ العام.

ويُعرَّف الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي بأنَّه **مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتُوضَع عادة تحت لفظ عام يَجمعُها.** مثال ذلك كلمات: **الأقارب.** فهي تقع تحت اللَّفظ العام: القرابة وتضم ألفاظاً مثل: أب – أم – ابن – ابنة – عم– عمّة– خال– خالة...إلخ.

ويعرِّفُه عبد السلام المسدي بقوله: " **أمَّا الحقل الدلالي لكلمة ما فتمثِّله كُلُّ الكلمات التي لها علاقة بتلك الكلمة، سواء كانت علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل جزئي أو كلي...فكل**

[1] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص38.

[2] ينظر جون لاينز، ص22، وينظر أحمد مختار عمر. علم الدلالة، ص79.

مجموعة نسـميها الحقل، والحقل هو المعنى العام الذي يشـمل كل الوحدات (الحيوان هو الحقل الذي تندرج فيه كل الحيوانات (المخلوقات التي فيها الحياة والحركة)".

وقد أَجْمَل أحمد مختار عمر مبادئ يتَّفق عليها أهل هذه النظرية، وهي:

1. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.
2. استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.
3. لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
4. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

ثانيا: نظرة تاريخية

لم تتضـــح فكرة الحقول الدلالية إلا في عشـــرينات وثلاثينات القرن الماضـــي، عندما اســـتفاد الباحثون السويسريون والألمان والفرنسيين فيما بعد من أفكار سابقة لسوسير وغيره، ونذكر منهم إيســـبان (1924)، وجولز (1934)، وروزي (1934)، وتريي (1934). ولعل هذا الأخير هو الأكثر شـــهرة وتأثيرا في نظرية الحقول الدلالية من خلال تطبيقاته المبكِّرة على الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوســـيطة، وبعده قام مايير باختيار ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية ودرســـها، وفي فرنســـا تطوّر علم الدلالة التركيبي من خلال أبحاث ماطور (1953) وأتباعه على حقول تتعرّض ألفاظها للتغيّر أو الامتداد الســـريع، وتعكس تطورات اجتماعية أو ســـياســـية أو اقتصـــادية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية قام الأنثروبولوجيون بالتطبيق على حقول مختلفة مثل: الألوان، القرابة، الحيوان، النبات، الأمراض.

وقد رأينا أنَّ البنيويين خاصـــة الاتجاه الأمريكي يميل إلى أمال الدلالة أو التضـــييق منها لذلك نجد المـــتأثرين بالتوزيعية عند بلومفيلد يتجاهلون دراسة المعجم؛ لأنه – في نظرهم – يعالج مفردات توصـف بأنها غير تركيبية، أو – على الأقل – يبدو التسـيب في تركيبيتها. والأمر نفسـه عند التوليديين التحويلين؛ لأنهم يعتبرون المعجم جزءاً من النحو، وأعطوا أهمية ضـــئيلة لمعاني

الكلمات والجمل. ثم تغير اهتمامهم بظهور فكرة الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي؛ باعتبار أنَّ هذه الفكرة تعطي مفردات اللغة شكلاً تركيبياً. فكلمات كل لغة – طبقاً لهذه الفكرة – تصنّف في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معيّن. وعناصر كل حقل يحدّد كل منها معنى الآخر، ويستمد قيمته من مركزه داخل النظام.

ثالثا: تحليل الحقل الدلالي

تنظر نظرية الحقول الدلالية إلى الحقل الدلالي نظرتين: داخلية وخارجية؛ فهي لا تسعى إلى تحديد البيئة الداخلية لمدلول الكلمات فحسب، وإنما إلى الكشف عن بيئة خارجية تسمح بالتأكد من أنَّ هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد من الكلمات، ولا تصنف هذه الطريقة مدلول الكلمات في حقول دلالية مبنية على الترادف والتماثل فقط مثل: طالب، تلميذ. وإنما تكون كذلك مبنية على التضاد مثل: الطول – القصر، البياض – السواد، الصغر– الكبر، القوّة–الضعف.

أو على علاقة السبب بالمسبب، أو على علاقة التدرج، وتكون العلاقات داخل الحقل الدلالي مبنية كذلك على الأوزان الاشتقاقية والتصنيفات النحوية أو الحقول التركيبية.

رابعا: أسس المعجم المصنَّف

يقوم الدارسون في هذا المجال بصناعة معاجم موضوعات بالنظر إلى المفاهيم التي تعطيها، ويلتزمون في هذا بشرطين أو بمرحلتين أساسيتين هما:

1. وضع قائمة بمفردات اللغة الهدف.
2. تصنيف هذه المفردات بحسب الحقول أو المفاهيم التي تتناولها.

قد تواجه الدارسين صعوبات في التصنيف تعود إلى ما يلي:

1. التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية داخل الحقل.
2. تحديد العلاقات بين الكلمات داخل كل حقل.

3. حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها.

لعل أشهر التصنيفات وأكثرها شمولية تصنيف معجم Greek New Testament، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية:

1. الأحداث events.
2. **الموجودات entities**.
3. العلاقات relations.
4. المجردات abstracts.

وتحت كل قسم نجد أقساماً أصغر. ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية، وهكذا.

من أمثلته ما يلي:

1. رجل – شيخ – صبي – ولد
2. امرأة – عجوز – فتاة – بنت
3. طفل – رضيع
4. جيل – قريب – أسرة – قبيلة – جنس.
5. نجل – ابن – ابنة – حفيد.
6. جد أب – أم – جدة
7. زوج – زوجة – حماة – عريس – عروس

واختلف تقسيم ستيفن أولمان عن التقسيم السابق، فقد رأى أن الحقول ثلاثة فقط:

أ- حقل التجريديات، ويمثلها ألفاظ الخصـــائص الفكرية. وهذا النوع من الحقول يعد أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية.

ب- حقل المحسوسات المنفصلة، ويمثلها نظام العلاقات الأسرية. فهو يحوي عناصر تنفصل واقعاً في العالم غير اللغوي. وهذه الحقول كسابقتها يمكن أن تصنف بطرق متنوعة بمعايير مختلفة.

ت- حقل المحسوسات المتّصلة، ويمثلها نظام الألوان في اللغات فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة. وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم.

قيمة النظرية

لهذه النظرية أهمية تتمثل فيما يأتي:

- إذا كان أقصى ما يحققه معجم تقليدي هو أن يصنف الكلمات في ترتيب هجائي، ويسرد كل معاني الكلمة، ويقوم بتحديد المعاني الأساسية والمعاني الفرعية فإنَّ معجم المفاهيم يعالج والمجموعات المترابطة: من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معين. فمثلاً كلمة: كوب، يمكن دراستها مع كلمات مثل: فنجان وكوز وزهرية وكأس وإبريق، باعتبارها كلمات تدلُّ على أنواع من الأوعية. وفي نفس الوقت يتبيَّن أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة، وهو ما يعجز عنه المعجم التقليدي.

ويمكن كذلك التمثيل بفعل: **القتل**، الذي له امتدادات واسعة، ويضم عديداً من الكلمات التي تختلف بحسب ما تشير إليه: (إنسان – حيوان – حشرة) ... وبحسب نوع القتل بوحشية – بصورة جماعية. فالفعل اغتال: مثلاً يشير إلى أن المقتول شخص ذو قيمة سياسية، والقاتل شخص ذو دافع سياسي. والفعل ذبح يستعمل مع الحيوان عادة. ويمكن استعماله مع الإنسان للإرشاد إلى أن الضحية قد عوملت بوحشية كالحيوان. كما أن لفظ مذبحة، يشير إلى أن القتل كان جماعياً. والفعل أعدم: يستعمل مع قتل العقاب القانوني أو القصاص.

- أنَّ تطبيق هذه النظرية كشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها. كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص من المشكلات

التقليدية في المعاجم التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي (انظر فصل المشترك اللفظي في الباب الثالث). والنوع الأول يقسم إلى مداخل بعدد كلماته، أما النوع الثاني فيوضع في مدخل واحد لأنه كلمة واحدة في الحقيقة وقد حلت نظرية الحقول المشكلة. لأن الكلمات المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة سوف تعالج على أنها كلمات منفصلة هومونيمي. فكلمة orange (برتقالي) تخص حقل الألوان، وكلمة orange (برتقال) تخص حقل الفاكهة.

- أنّ تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل؛ أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية، كعدم وجود كلمة في الإنجليزية تتعلق بموت النبات في مقابل كلمة Corpse بالنسبة للإنسان، وكلمة carcass بالنسبة للحيوان. وكلمة must ليس لها ماض في اللغة الإنجليزية، وتملأ هذه الفجوة باستخدام had to مثلاً.

ولو أننا صنفنا الحيوانات بحسب الجنس والعمر لوجدنا اللغة العربية مثلاً تضع بالنسبة للإنسان الكلمات: رجل – امرأة، ولد – بنت. ولكنها لا تفعل ذلك بالنسبة لكل الحيوانات. ولذا لو أعددنا قائمة بكل أمثلة الحيوانات فسنكتشف عدداً هائلاً من الفجوات في المفردات المعجمية، لا في اللغة العربية وحدها، بل في كل اللغات.

- أنَّ هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها التسيب المزعوم.
- أنَّ هذا التحليل يمدُّنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة. كما يمدُّنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ، مما يسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقّة وانتقاء الملائم منها لغرضه.
- قدرتها على إبراز العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.
- أنَّ دراسة معاني الكلمات على هذا الأساس تعد في نفس الوقت دراسة لنظام التصورات، وللحضارة المادية والروحية السائدة، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية. كما أن دراسة

التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في نفس الوقت دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة.

وهذا لا يعني سهولة تصنيف الكلمات في حقول دلالية، فقد يستعصي أحيانا إدراج بعض الكلمات في حقل دلالي معين ولهذا تبدو مشكلة تصنيف المعجمات وفقا للحقول الدلالية مستعصية الحل، ويظهر ذلك فيما يلي:

- صعوبة حصر الحقول الدلالية، أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها.
- صعوبة تحديد العلاقات بين الكلمات داخل الحقل والعلاقات هي: الترادف – الاشتمال – التضاد – التنافر...). والتضاد منه الحاد مثل: ميت/حي. والمتدرج مثل: ساخن/بارد والمتعاكس مثل: باع/اشترى.
- صعوبة التمييز بين الكلمات الأساسية، والكلمات الهامشية داخل الحقل، فالكلمة الأساسية هي الوحدة المعجمية المفردة، ولا يمكن التنبؤ بمعناها من خلال معنى أجزائها فقد يعتمد التمييز على الاستقراء والإحصاء للكلمات الأكثر استعمالا.

الدرس الرابع عشر: الدلالة والتداولية (البراغماتية)

أولا: نظريّة التلفّظ أو الملفوظية

1-ظهورها:

1-1 **مصطلح الملفوظية:** أشار إلى مصطلح (Enonciation) اللساني **شارل بالي** (1865-1947) في كتابه اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية، كما تحدّث أوستين عن دور الملفوظ الذي يقوم بوصف وضعية معيّنة، أو بتعيين حدث[1].

1-2 **فكرة النظرية:** تقوم فكرة الملفوظية أساسا على جهود بنفنست في شرح ثنائية سوسير اللغة والكلام، التي عرفت احتجاجا من طرف اللسانيات الحديثة عموما؛ حيث انساق اللسانيون بداية من الستينيات إلى إعادة تأويل هذه الثنائية؛ مؤكدين بأنَّه في الملفوظية لا يؤخذ كل شيء من الفرد. وبيّن بنفنست أن ثمة فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأدلة واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد، وهذا المستوى الأخير هو أساس تحليل الخطاب في نظره خلافا لمذهب سوسير[2].

1-3 **ظهور النظرية:** يؤرخ لها الدارسون من نهاية الخميسنيات؛ حيث بدأ يتّسع مجالها انطلاقا من التأملات المنهجية لبنفنست وياكبسون. ولأنها تقوم على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل الأخرى، فإنها نشأت من التداولية، ومن علاقة المتكلم باللغة[3].

1-4 **علاقتها بالتداولية:** يميِّز دومينيك منغونو بين نشأة **نظرية التلفُّظ** وبين النشأة التداولية، فيقول:" تهتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللسانيين الأوربيين، بشكل خاص، بطرق الخطابات المؤداة وكيفيات توصيلها...بينما التداولية، فقد تطوّرت أساسا في المجال الأنجلوسكسوني حول إشكالية أفعال الكلام "[4]. فهي في نظره تيار مواز للتداولية، وشهدت

---

[1] ينظر جان سيرفوني: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، ص 7. وينظر خليفة بوجادي: محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 102.

[2] خليفة بوجادي، مرجع سابق، ص 102.

[3] المرجع نفسه، ص 103.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تطوّرا أكبر في السبعينيات؛ حيث عرفت دراسات كثيفة، مما جعل حقلها في اللسانيات الحديثة مستقلا، يتّضح في أعمال أتباع بنفنست وخلفه[1].

5-1 **علاقة نظرية التلفُّظ باللسانيات البنيوية:** لقد ساد إلى حدود السبعينات من القرن المنصرم **الاهتمامُ بالنحو كنظرية للقدرة الذهنية،** إذ لا يتجاوز الأمر آنذاك حدود ما يؤكّد مصداقية **صورنة اللغة واعتبارِ مستعمليها نماذج مجردة.** وبعد هذه المرحلة فقدَ هذا التوجُّه سيطرته على الأبحاث اللسانية حيث ظهرت إلى الفضاء اللساني دراسات تجاوزت **القدرة إلى الإنجاز،** وأكّدت على **قيام الذاتية في التواصل،** وقد دشنت أعمال Benveniste لهذا المشروع، يقول: " **إنه قبل العملية التلفظية لا يكـــون اللسان إلاَّ إمكانيةً لِلِّسان** ".[2] ويضيف: " **إن العملية التلفظية هي حيث يوظَّف اللسان بواسطة فعل الاستعمال**".[3] فلم تعد اللغة لذاتها هي موضوع البحث اللساني إذ أصبح الاهتمام منصبا على **التلفظ** وما يستتبعه. " **إننا في العملية التلفظية نأخذ بعين الاعتبار،** على التوالي، **الحدث نفسه، والسياق المقامي الذي يتحقق فيه، وآليات إتمامه**".[4] إننا مع Benveniste نمرُّ **من لسانيات اللغة إلى لسانيات التلفظ،** ثم إن هذا يحدد مؤشرات العبور إلى **لسانيات تداولية.**

تقوم التداولية في جوهرها على **معادلة** [أو تعديل] ثنائية: اللغة/ الكلام (Langue/ parole)[5]، إلى ثنائية (الملفوظ/التلفّظ) (Enoncé/ énonciation)، فلم تعد اللغة ذلك الكيان الثابت والمستقر في أذهان الجماعة اللغوية، ولكنها أصبحت نشاطا كلاميا. وهذه الفكرة الجديدة تجد سندها في **لسانيات التلفّظ،** فهي لا تقوم على فكرة التمييز بين اللغة والكلام، في هذا النشاط تحدّد نقطتان: التلفُّظ (Enonciation): الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والملفوظ (Enoncé) كنتيجة لذلك الفعل، فلا يعدو التلفُّظ أن يمثّل النشاط الكلامي الذي يؤدّيه المتكلّم في اللحظة التي

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] E. Benveniste : Problèmes de Linguistique générale. Tome II Ed Gallimard, 1974, P 81.

[3] Ibid, p 80.

[4] Ibid, p 80.

[5] السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، ص 152.

يتحدّث فيها، أي تلك الممارســـة التي ينســـبها لذاته متفاعلا مع الآخر[1]. فيكون التمييز " بين **الملفوظ**، الذي يُقصد به ما يُقال، و**التلفّظ**، كفعلِ القولِ"[2].

وهذا التحوّل جاء نتيجة لحرص اللســـانيات البنيوية على المقاربة العلمية لمســـتويات اللغة المختلفة وهذا ما جعلها تلاقي صـعوبات وإكراهات على المسـتوى الدلالي من أجل تفسـير وظائف الموجّهات المرتبطة بالمتحاورين كضـــمائر المتكلم والمخاطَب (أنا، أنت) وظروف الزمان والمكان (الآن، هنا، هناك،...)، وهي الموجّهات التي تحيل على التلفُّظ ومكوّناته ووضعية المتلفّظ[3].

2-تعريفات وحدود

1.2 تعريف الكلام: ويعني القول، ويتمثّل فيما يتلفّظ به المتحدّث ســـواء كان الكلام أو القول حرفا أو جملة، أو هو كل لفظ نطق به الإنســـان أفاد أو لم يفد، فإذا كان الكلام أو القول مرادفا للجملـة في نظر ابن جني فإنـه من منظر التداولية يختلف عن الجملـة (المســـند والمســـند إليه)، يحدّد **بنفنســـت** القول على أنه ذلك الفعل الناتج ضـــمن ظروف وأحوال ســـياقية، وحتى يعالج لا بدّ من دراســـة تلك الأحوال التي شـــكّلته، واعتبار القول أعمّ من الجملة يقتضي أن تكون دلالة القول متجاوزة لدلالة الجملة[4].

2.2 تعريف الملفوظ:

تتفق التعريفات على اعتبار الملفوظ جملة مفعّلة أو محقّقة أو متوالية من الجمل. فالملفوظ (l'énoncé) تتابع من الجمل المحقّقة؛ أي كل ما يتلفّظ له الإنسـان منطوقا أو مكتوبا، (غريماس وكورتيس) أو جملة تفعيلية (لاينز) أو متوالية من الجمل مدروســة في اللغة، أو متوالية من الجمل

---

[1] حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 86.

[2] فرانسواز أرمنكو: المقاربة التداولية. ص 9.

[3] إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو وليلى أحمياني، مرجعة وتنسيق وتقديم سعيد جبار، دار رؤية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018، ص 6-7.

[4] حمو الحاج ذهبية، مرجع سابق، ص 17-18.

التفعيلية Séquence de phrases actualisée، أو هي وحدة تحويلية جملية Unité transphrasique، متوالية مبنينة من الجمل، التي يمكن ملاحظتها سواء في اللغة أو الكلام.

3.2 تعريف التلفُّظ (أو فعل القول):

أ- **تعريف بنفنست:** فعل القول هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي.

ب- **تعريف ديكرو وأنسكمبر:** فعل القول سيكون بالنسبة لنا نشاط لغوي ممارس من طرف المتكلّم في الوقت الذي يتكلّم فيه" [ولكن أيضا من طرف الذي يسمع في الوقت الذي يسمع فيه].

ت- **تعريف غريماس وكورتيس:** التلفُّظ هو **العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ، فيجب الفصل بين الفعل ونتيجة الفعل.**

نقول إذن إن فعل القول، من الناحية الجوهرية مجموعة الظواهر التي يمكن ملاحظتها حينما تشتغل خلال فعل تواصلي خاص، مجموعة العناصر التي وضعنا خطاطتها آنفا[1].

ولكن أنسكمبر وديكرو يضيفان كما يلي: يكون فعل القول إذن من خلال الماهية التاريخية، الظاهراتية، ولهذا، لا يتوالد أبدا مرتين مماثلا لنفسه.

3-علاقة التلفُّظ بالملفوظ:

يعتبر غريماس وكورتيس أن تحدّد الملفوظ يكون ضمن إنّية من التلفُّظ عن طريق تحديد العناصر المنتمية إلى اللغة وتتغيّر دلالتها من كلام إلى آخر مثل أنا، أنت، هنا، الآن... [2]، وهي ضمائر الشخص وضمائر الملكية، الصفات والظروف، والمبهمات الزمانية والمكانية. والمعروفة بالموجّهات؛ حيث ترى التداولية أن هذه الموجّهات تساهم في دلالة الجمل فتتجاوز الدلالة الملموسة المباشرة التي تقدّمها الوحدات المعجمية في علاقتها مع بعضها إلى دلالات ضمنية

[1] كيربرات أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، ص 40.

[2] حمو الحاج ذهبية، مرجع سابق، ص 86.

يمكن التوصل إليها من خلال الاستلزامات الحوارية، وتقتضي استحضار مكوّنات أخرى سياقية داخلية وخارجية تمكّن المتلقي من الانتقال من الدلالة الطبيعية إلى الدلالة غير الطبيعية. فالكلام بالنسبة إليها أكبر من أن يكون مجرّد تطبيق خالص للسان، فهو توظيف لشفرات غير لسانية إلى جانب الشفرات اللسانية من أجل توليد مؤشرات تربط الجسور بين الدلالة المجرّدة في الملفوظ الملموس بالدلالة الضمنية التي ترتبط بسياق التلفّظ[1].

تقابل الملفوظية الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعاً لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء، الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل. الملفوظية تتكون من جملة العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية، وقد أثارت ترسيمة جاكوبسون الشهيرة التي تتحدث عن وظائف اللغة اعتراضات لم تتوقف حدتها إلى الآن[2].

إن عملية التلفُّظ تعني الوقوف عند عناصر مثل: المبهمات (Les déictiques) كعلامات تشير إلى المتخاطبين (Les interlocuteurs)، والمتكلّم الذي يتدخّل كطرف في العملية التلفظية، أما المستمع كطرف ثان يصبح متكلما بفضل الخاصية التناظرية للخطاب، وبتوافر الشروط أو الظروف التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية وهي الزمان والمكان، وبالاستناد إلى بعض الآليات المنظِّمة للخطاب من افتراض مسبق، وأقوال مضمرة، وحجاج، وتأويل وشرح...والتي يلجأ إليها المتكلم عندما يأخذ الكلمة معلنا عن مرتبته كمتكلم منصّبا في القوت ذاته شخصا آخر أمامه، بناء على ذلك يكون تضمين الشخص الآخر مكوّنا أوّليا وضروريا للتلفّظ[3].

---

[1] إلفي بولان، مرجع سابق، ص 6-7.

[2] جان سيرفوني، مرجع سابق، ص 7.

[3] حمو الحاج ذهبية، مرجع سابق، ص 86-87.

وترى كيربرات أوريكيوني أنَّ الحدود بين القول (الملفوظ) وفعل القول (التلفُّظ) بدءا من الوقت الذي ينتهي فيه إدراك الثاني كغرض لإنتاج الأول، وحيث أن الموضوعات يوجدان انطلاقا من هذا الفعل متقاربين بكيفية خاصة[1].

تعبّر لوسيل كوديس بكلمات مقاربة عن فكرة مماثلة، تقول في اللحظة التي عدلنا عن اعتبرا فعل القول كفعل إنتاج القول، المشكل الذي يطرح هو اكتشاف قواعد فعل القول، انطلاقا من القول المحقّق، هل توجد بنيات خاصة لفعل القول، عناصر داخل القول كخيط من السدى خفي ولكنه حاضر في النسيج[2].

4-علاقة المتكلِّم بالمستمع في نظرية التلفُّظ:

نقوم بعملية البحث عن المرجعية في التلفّظ، فنصل إلى الموجِّهات التي تحيلنا أحيانا إلى المتكلم وما يحيط به من أحوال؛ حيث يتجلّى المتكلم حينما يكون فاعلا في الخطاب مع توفر علاقة بينه وبين المخاطب[3]. نقول في الحقيقة يتعلق الأمر بنفس الموضوع وأن الاختلاف يتجلى في احتمالية هذا الموضوع: للقول المدرك كموضوع حادث Objet événement تخريج كلي للمتكلم الذي أنتجه، يحلُّ محلَّ مادة القول المنتج، حيث يسجّل المتكلِّم دوما خطابه الأصلي، في نفس الوقت الذي يدرج فيه الآخر بواسطة الأمارات المقولية Marques énonciatives[4].

فالتلفظ نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق، وتمثل آلية وعملية تحوّل اللغة إلى خطاب، وتتحقق بتوافر ضمائر الشخص، المكان والزمان (هنا والآن)، عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم، ولا على أحوال موضوعية في الزمان والمكان، ولكن تحيل إلى إنّية الخطاب الذي ترد فيه، تمكّن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه

---

[1] كيربرات أوريكيوني، مرجع سابق، ص 40.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] حمو الحاج ذهبية، مرجع سابق، ص 87.

[4] كيربرات أوريكيوني، مرجع سابق، ص 40.

بمجرّد نطقه بلفظة أنا، وتنصـــيبه شـــخصـــا آخر أمامه يمثل مخاطبه:" **إنه يمكن تحديد التلفظ بالنسبة للغة بوصفه حدث امتلاك للغة، فالمتكلم يمتلك الجهاز الصوري للغته ويعلن عن موقعه كمتكلم من خلال أمارات خاصـة، لكن بمجرد أن يقوم بذلك يقوم في ذات الوقت بتنصـيب الآخر قبالته أيا كانت درجة الحضور التي يحوّلها للآخر**"[1].

بهذا الاعتبار يبدو أن المتكلّم ذو مكانة هامة في لســـانيات التلفظ حتى أنه دُعيَ بمتكلم صـــانع الأقوال (Le Locuteur-scripteur)، يتدخّل في الخطاب كبعد فيإطار شـــروط معيّنة لتحقيقها، وبحاجة ما يكون هو المتكلم ذاته، يقول سـابير:" المتكلم والسـامع مندمجان في شـخص واحد، ويمكن أن يقال بأنه ينقل الأفكار إلى نفســه". تحيط بالمتكلم والســامع مكوّنات مثل الزمان والمكان، والسياق لتشكل ما دعاه بنفنست بالجهاز الصوري للتلفظ، وعودة المتكلم إلى هذا الجهاز يعني أن يعلن عن نفسه كما يعلن عن شخص آخر يتحدّث إليه[2].

يعتبر المتكلم والسامع جزئين من الوضعية التلفظية (Situation d'énonciation)، حيث يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك مع ملفوظه، ويتجسّـد ذلك في الأحداث الكلامية، والشـيء الغالب في هذه الأحداث أنها تســمح للمتكلم بأن يخص نفســه بالحديث، وينظّم حوله المعطيات المكانية والزمانية أو ما يدعى مجموع الحيّز التخاطبي (L'espace discursif).

5-المرجعية:

من الواضـح أن الواقع الخارجي مرتبط بتجربة الأشـخاص الخاصـة، يقول جورج مونان:" إن اللغة في ذاتها هي مجموعة من البنى والأشـــكال يرتبط وجودها بتجربة المتخاطبين بالعالم ". فالوظيفة المرجعية للغة هي التي تحدّد أبعاد الخطاب الحقيقية، وتكتسب مشروعيتها حينما تتطابق العلامات مع الواقع الخارجي[3].

---

[1] حمو الحاج ذهبية، مرجع سابق، ص 97.

[2] المرجع نفسه، ص 97-98.

[3] المرجع السابق، ص 97-98.

يتلقى المخاطَب علامات لغته أو لغة أخرى ويؤولها عن طريق إرجاعها إلى عالمها الحقيقي أي انطلاقا مما يقوله المتكلم عن نفسه وعن الآخرين، وليكون قادرا على ترجمة خطابات المتكلم ينبغي أن يشاركه في الوضع، أي اللغة التي يتحدّثان بها، وأن يملك خلفيات مسبقة عن موضوع الحديث[1].

وأن يعتمد الفرد في مجتمعه على المرجع يعني أن يخضع للسلوك الجمعي، وللأخلاق، للمعطيات الثقافية...فهو حين استعماله للغة بوظيفتها المرجعية يعطي للخطاب أو الحديث بعده الحقيقي في التأدية. أما الكلام فيتوقف على مدى مطابقة العلامات والأحاديث للواقع مثلما تتدخل المواضعة كشرط لفهم العلامات اللغوية كونها كما تقول أوريكيوني " مجموعة من الاتفاقيات والعقود الضمنية التي بها يشارك أفراد مجموعة لسانية ليتكوّن النمط اللغوي ". ومن الممكن اعتبارها مرجعا يستند إليه الإنسان في علاقاته مع بني البشر[2].

بهذا المفهوم تعتبر المرجعية القاعدة الأساس لكل اتصال وتواصل، فهي التي تحدّد العلاقة بين الملفوظ والمرجع؛ أي مجموع الآليات التي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير اللغوية بمفهوم أوركيوني، بينما لا يحدّد ديكرو المرجعية إلا من حيث ناحية الترميز وفك الرموز الذي يقوم فيه الإدراك الأكوستيكي أو المرئيس للدال بتوجيه المتلقي إلى نوع من المدلول الذي يتحدّد بفضل الكفاية وتمكن المتكلم في علم المفردات، والمدلول باعتباره أصغر الوحدات اللغوية المجرّدة Sens abstrait يقوم هو كذلك بتحديد المرجع الملائم.

يوظف الفاعل في الخطاب ثلاثة أنواع من الآليات المرجعية: **المرجعية المطلقة، المرجعية المنسوبة إلى السياق، والمرجعية المنسوبة لحال التخاطب أو الضمائر.**

- **المرجعية المطلقة:** الحديث عنها في حال ما يستلزم لتعيين شيء معيّن، الرجوع إلى الشيء ذاته دون المعطيات اللاحقة.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

[2] المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

- **المرجعية المنسوبة إلى سياق:** عندما نقول مثلا أخت محمد فلتعيين محمد يستلزم على المتكلم أن يعود إضافة إلى محمد ذاته شخص آخر، وهو أخته، كعامل مرجعي. إن الدال أخت لم يرتبط بصفة مطلقة بـــ محمد مادام يمكن تعيين هذا الأخير بطريقة بديلة مثل ابنه عمر، خالة سليم...
- **المرجعية المنسوبة إلى الحالة:** إن الشخص ذاته يمكن أن يعين بواسطة الضمائر: أنت، أنا...أنا محمد، هو أحمد...فاختيار الوحدة الدالة الملائمة لتأويلها يتحقّق عندما تؤخذ حال الخطاب بعين الاعتبار أي الدور الذي يؤديه الشخص (متكلم، مخاطب، شخص متحدث عن)، ويمكن أن ندعوها بالمرجعية الضميرية Référence déictique.

ثانيا: نظرية أفعال الكلام

1-إرهاصات

يعتبر التحليل اللغوي منهجا فلسفيا عند فلاسفة أكسفورد الذين بدأوا أعمالهم في أواخر الثلاثينيات، وقد كان منحسرا في الدول الناطقة بالإنجليزية؛ ثم احتلَّ موقع الصدارة في أربعينيات وخمسينيات القرن ولا يزال متربعًا على عرش الفلسفة دون أن تنال من مكانته الانتقادات الحادة التي تعرض لها من قبل خصومه.

وقبل الحديث عن نشأة مدرسة أكسفورد، ينبغي الإشارة إلى التأثير الإيجابي المباشر لأفكار فتجنشتاين الذي كان يرى أن وظيفة الفلسفة هي **توضيح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها** – أو على حد تعبيره الشهير: " **الفلسفة معركة ضد افتتان عقولنا باللغة** "، ثم الثورة التي جاءت بها الفلسفة التحليلية على الفلاسفة الوضعيين والذين اعتبروا القضايا التجريبية وقضايا تحصيل الحاصل هي العبارات الوحيدة ذات المعنى، وأن كل أنواع العبارات الأخرى هي من قبيل اللغو بما يعنيه هذا من تضييق لوظيفة الفلسفة واستبعاد مجالات الميتافيزيقا والأخلاق والجمال من حقل التأمل الفلسفي طالما أن مسائلها وقضاياها خارج دائرة المعنى أصلا.

اشتهر من فلاسفة مدرسة أكسفورد الفيلسوف الإنجليزي **جون أوستين**، بنظريته التي عرفت بنظرية أفعال الكلام، ومعه آخرون منهم: رايل – ستراوسون – نويل سميث – أشعيا برلين – وارنوك ... الخ.

وقد أحدثت هذه المدرسة ثورة فلسفية على المدرسة الفلسفية الوضعية، وسنشير إلى بعض الأفكار التي انتقدتها مدرسة أكسفورد:

- أحلّت مدرسة أكسفورد نظرية الاستعمال من أجل الكشف عن المعنى في الاستعمالات المختلفة للغة، على عكس فلاسفة الوضعية الذين اكتفوا بالكشف عن المعنى بالاعتماد على وظيفة واحدة هي الوصف أو التقرير.
- أخذت مدرسة أكسفورد بعين الاعتبار عناصر كالمتكلم والسياق، ضمن بحثها عن معاني التعبيرات اللغوية المختلفة، نفيا للمعنى الثابت الذي نظرت إليه الفلسفة الوضعية.

2-مراحل نظرية الفعل الكلامي

سيقتصر تركيزنا في مدرسة أكسفورد على أهم نظرية فيها وهي نظرية أفعال الكلام لمؤسسها جون أوستين، حيث نتساءل، ما الفعل الكلامي؟ يجيبنا مسعود صحراوي بقوله " **كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري**"[1]. الفعل الكلامي أفعال ثلاثة قولي وإنجازي وتأثيري، فحين ينجز المتكلّم قولا أو ملفوظا فهو لا يقف عند حدود هذا الملفوظ أو القول إنما يتجاوزه إلى جانب عملي فيه يسمى إنجازي فهو أوسع من مجرد التكلّم وإن " **استعمال اللغة ليس هو إنجاز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي**"[2]. فأفعال الكلام تحقق أغراضا إنجازية تواصلية من لدن المتكلمين، وغايات تأثيرية تخص ردود أفعال المخاطَبين.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 54.

[2] فان دايك: النص والسياق، ص 311.

ما نستنتجه من الكلام السابق اعتبار **الفعل الكلامي** وحدة تحليل الخطاب وليست العلامة أو الجملة.

وقد شهدت هذه النظرية، حسب طه عبد الرحمن، أطوارا ثلاثة أساسية[1]:

- تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي.
- وضع شروط محدَّدة للفعل اللغوي.
- وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي.

ولعلّنا نضيف مرحلة رابعة عما ذكره طه عبد الرحمن، تعود إلى **فان دايك**، الذي وسّع مفهوم الحدث الكلامي أو الفعل الكلامي ليشمل النص، سنفصّل فيها في حينها.

ومرّت نظرية الحدث الكلامي بعدة مراحل:

1. مرحلة الفعل الكلامي المباشر مع أعمال كل من أوستين وسيرل.
2. مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر مع أعمال بول غرايس وأعمال سيرل المتأخرة.
3. مرحلة الفرضية الإنجازية أين انتقل الفعل الكلامي إلى النحو التوليدي بحيث أدخل المكوّن الدلالي في البنية العميقة وأصبح يمثل له تمثيلا دلاليا على يد مجموعة من علماء الدلالة التوليدية من بينهم صادوك (Sadok).
4. وأخيرا مرحلة **الفعل الكلامي الكلي** لدى **فان دايك**.

1. مرحلة الفعل الكلامي المباشر:

أ- أفعال الكلام عند أوستين:

بدأ أوستين تأسيس نظرية الحدث الكلامي انطلاقا من التمييز بين الجمل الوصفية والجمل غير الوصفية، حين فرّق بين موقفين من هذه هذه القضية؛ موقف الفلاسفة وموقف النحاة. فالجمل

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 260.

التي تستحق الوصف والدراسة، حسب الفلاسفة، هي الجمل الوصفية أو التي تحقق واقعا عينيا، والتي يتحقّق فيها شرطا الصدق والكذب. والثاني يقسّم الجملة إلى عدة أنماط: الجمل الإثباتية، والجمل الاستفهامية، والجمل التعجبية، والجمل التي تفيد الطلب والتمنّي[1].

وإن بدا لأوستين أن الوصف النحوي أوسع من الوصف الفلسفي لأنه لا يقتصر على نمط واحد من الجمل فإنه دحض المنظورين معا. واعتبر أن الجمل الوصفية عند الفلاسفة ليست دائما وصفية وسمّاها شبه وصفية، وبدلا من تسميتها جملا وصفية سمّاها جملا خبرية " فليست كل الجمل القابلة للصدق والكذب جملا وصفية ولهذا اخترت استعمال لفظ خبرية "[2]. وينتهي أوستين في آخر قوله إلى صعوبة التمييز فعلا؛ لأن الحدود الرابطة بينها غير معلومة ولا نعرف كيف نصل إليها.

ولاحظ أوستين أن إطلاق لفظ الوصف وهم، وأن هناك عبارات لا تصف ولا تخبر، ولا تثبت، فهي لا تدل على صدق ولا كذب لكن مجرد النطق بها هو إنجاز للفعل أو جزء منه[3].

وقد لاحظنا أن أوستين لم يكن واضحا في نظريته في البداية، ولذا اتسمت بالغموض، ثم بدأت تتضح ويستدرك عليها ما كان قد غفل عنه.

ففي البداية رسّخ أوستين ثنائية الوصف/ الإنجاز، " فالنطق بجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه، ولنكرر القول هنا، نصف بقولنا شيئا ما على وجه الضبط"[4]، و قد أفادته هذه الثنائية في تقسيم أفعال الكلام فيما بعد، فإذا كان الوصف يوضّح حالة أو حدثا بعيدا عن الجانب العملي الفعلي وينطبق عليه شرطا الصدق والكذب،فإن المصطلح الثاني في ثنائيته ينجز أفعالا بالأقوال ويخضع لشرطي النجاح والفشل بدلا عن الصدق والكذب.

---

[1] جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص 13

[2] المرجع سابق، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 14-15

[4] المرجع نفسه، ص 16.

وقد تفطّن أوستين إلى ضرورة وضع شروط ومؤشرات للتمييز بين الوصفي والإنجازي. حين صنّفها شروطا مقامية وأخرى مقالية.

خـاتـمـــة

لقد جاءت هذه الدروس في سـياق تمكين طالب الليسـانس من أهم الأفكار والمبادئ التي يقوم عليها **علم الدلالة**، ورغم وجود عدد كبير من هذه القضايا الدلالية ضمن مفردات السنة الثالثة ليسانس، إلا أن الغرض من تدريسها لهذه الفئة من الطلبة، هو تمكينهم من التعرُّف على أهم هذه القضايا، بعد أن تعرَّف الطالب على أهم بعضها في السنة الثانية ليسانس.

وقد ركّزنا في هذه الدروس على اسـتعراض أهم أفكار كل قضـية دلالية، بما ينسـجم مع طالب الليسـانس الذي بدأ يتخصـص في اللسـانيات العامة. فيمكَّن من مصـطلحات التخصـص بصفة عامة ومصطلحات هذه المادة بصفة خاصة.

كانت القضـايا مرتّبة ترتيبا موضـوعيا في أغلبها، ترتيب تطوّر الدرس الدلالي الحديث والمعاصـر: من التمييز بين مصـطلحي الدلالة والمعنى إلى نشـأة علم الدلالة التاريخي والربط بين اللسـانيات وعلم الدلالة وتقسـميات الدلالة بحسـب المسـتويات اللسـانية، ثم تناول بعض النظريات الدلالية الأشـهر فيها من قبيل: النظرية الإشـارية المرجعية، النظرية التصـورية العقلية، النظرية السلوكية، النظرية السياقية، نظرية الحقول الدلالية وأخيرا التداولية باعتبارها توجها جديدا.

وقد واجهتني صـعوبات جمّة في تكييف المادة العلمية مع طلبة السـنة الثالثة ليسـانس، وخاصـة في الحجم العلمي الغزير، وفي كثافة المصـطلح اللسـاني والسـيميائي والدلالي، وصـعوبة تبسـيطه، خاصـة في ترجمته إلى العربية مع الفوضـى التي يعيشـها الدرس اللسـاني العربي المعاصر. ولقد حاولت قدر الإمكان التركيز على الأهم في قضية دلالية.

وفي الأخير، نأمل أن تفيد هذه المادة العلمية طلبة الليسـانس في التمكُّن من اسـتعيابها، ومحاولة توظيفها في الدرس اللسـاني، أو في تطبيقاته الأدبية والنقدية. ونسـأل المولى عزّ وجل السداد إلى ما يحبُّ ويرضى فهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

في عين البيضاء بتاريخ 29 ماي 2025

د.هشام بلخير

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب المؤلفة بالعربية:

1-ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة.

2-أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات–ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م.

3-أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات.

4-أحمد مختار عمر، علم الدلالة.

5-إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها.

6-أيمن علي عبد اللطيف، عبقرية النثر العربي.

7-حسين نصار: المعجم العربي.

8-حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب.

9-خليفة بوجادي: محاضرات في اللسانيات التداولية.

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو: تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.

11- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات.

12- رمضان عبد التوّاب: التطوّر اللغوي.

13- السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد.

14- سيبويه: الكتاب، ج/1.

15- صـــــلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر،2008م.

16- صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو.

17- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.

18- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية.

19- عبد الحميد عبد الواحد: الكلمة في اللسانيات الحديثة.

20- عبد السلام المسدّي: اللسانيات وأسسها المعرفية.

21- عبد القادر عبد الجليل: المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام

22- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز.

23- عبد النّعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية.

24- عبد الهادي بن ظافر الشّـــهري، اســـتراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.

25- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2000م.

26- فايز الداية: علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق-.

27- فريد عوض حيدر، كتاب علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، كلية دار العلوم جامعة القاهرة. مصر.

28- كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، الجزء الأوّل.

29- محمد علي الخولي: مداخل إلى علم اللغة.

30- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى" أنظمة الدلالة في العربية"، دار المدار الإسلامي، ط2، بنغازي، 2007م.

31- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.

32- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.

33- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.

34- محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث.

35- محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة.

36- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة.

37- محيي الدين صبحي، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا.

38- مسعود صحراوي، التداولية عند العرب.

39- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، القاهرة، 1997م.

40- منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي.

41- نعمان بوقرة: اللسانيات العامة الميسرة.

الكتب المترجمة إلى العربية:

1-إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو وليلى أحمياني، مرجعة وتنسيق وتقديم سعيد جبار، دار رؤية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018.

2-بيار جيرو علم الدلالة، ترجمة د. منذر عياشي.

3-جان سيرفوني: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد.

4-جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات.

5-روبينز-هـ، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1988م.

6-ستيفن أولمان: دول الكلمة في اللغة، تر كمال بشر.

7-فان دايك: النص والسياق.

8-فرانسواز أرمنكو: المقاربة التداولية.

9-كيربرات أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف.

10- ماريو باي: أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر.

الكتب باللغات الأجنبية:

1. E. Benveniste : Problèmes de Linguistique générale. Tome II Ed Gallimard, 1974, P 81

المقالات:

1-طه جابر العلواني، السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، مقال، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2007م.

2-مطاع الصفدي، استراتيجية التسمية، التأويل وسؤال التراث، ص4، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 30-31 سنة 1984.

الرسائل والأطاريح:

1. ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطّلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1418هـ.

فـهـــرس الموضوعات

المحاضرة	الصفحة
تقديم	**03**
مدخل (بين الدلالة والمعنى)	**05**
إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 1: الأسباب	**12**
إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 2: المظاهر	**17**
الدلالة اللغوية وغير اللغوية	**21**
علم الدلالة واللسانيات الحديثة 1	**27**
علم الدلالة واللسانيات الحديثة 2	**32**
الدلالة الصوتية والصرفية	**36**
الدلالة التركيبية والسياقية	**43**
نظريات دراسة المعنى 1 (التصورية، الإشارية)	**51**
نظريات دراسة المعنى 2 (السلوكية)	**60**
نظريات دراسة المعنى 3 (السياقية)	**68**
الحقول الدلالية في التراث العربي	**79**
نظرية الحقول الدلالية	**87**
الدلالة والتداولية (البراغماتية)	**95**
خاتمة	**106**
قائمة المصادر والمراجع	**107**
الفهرس	**110**